

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر
تُصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

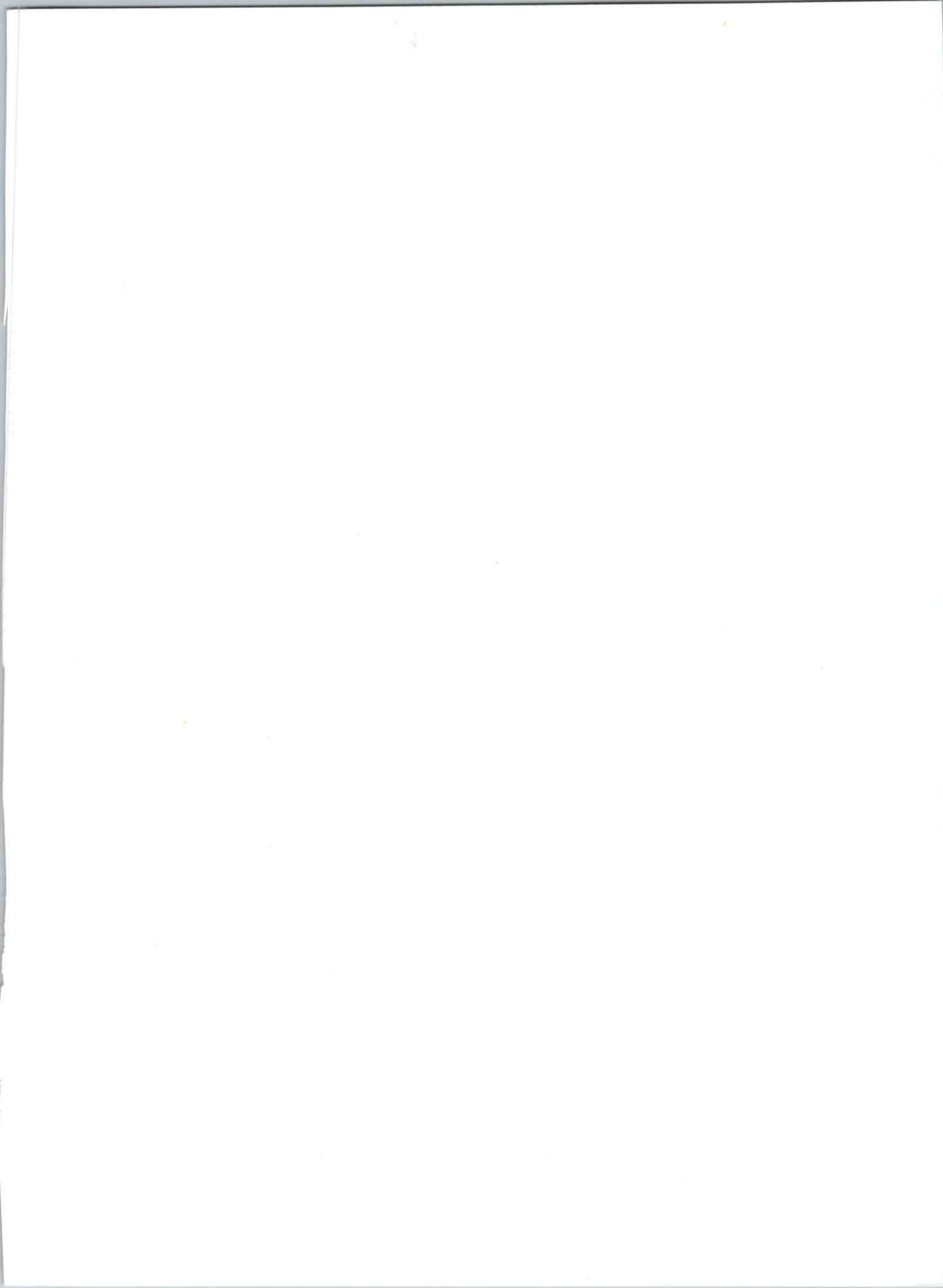


عدد خاص بعيد العرش المجيد



422

السنة التاسعة والخمسون - شوال 1438 هـ / يوليو 2017 م



دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة التاسعة والخمسون - العدد 422 - شوال 1438 هـ / يوليو 2017 م



في هذه الصورة (البرقية 1376) الذي تراسل به مع وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والشؤون الإسلامية في 1376 هـ (1957 م) في شهر يوليو 1957 م



أسسها
جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
سنة 1376 هـ / 1957 م

”... ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة
تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تُعالج مختلف
الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا ولهيب الأمل في أن يلتفت
حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها
لتؤدّي مهمتها خير أداء.
وعسى أن تسلك مجلة “دعوة الحق” سبل النجاح والتوفيق“

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه
إلى “مجلة دعوة الحق” بمناسبة صدورها في شهر يوليو 1957 م

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لاتعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.

العنوان : مديرية الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد - الرباط
الموقع الإلكتروني: www.daouatalhaq.ma - البريد الإلكتروني: daawatalhak@mhai.gov.ma
هاتف التحرير : 05 37 76 59 05 - هاتف مدير المجلة: 05 37 66 06 74
فاكس: 05 37 76 17 21
التوزيع : هاتف وفاكس: 05 37 76 32 10
الحساب البنكي : القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط:
RIB : 225-810-0195092946510102-88
الاشتراكات في المجلة: الاشتراك التشجيعي : 500 درهم - المملكة المغربية : 150 دھ
الخارج : 300 درهم
رقم الإيداع القانوني : 1981/3
الرقم الدولي : 1981PE0003
الإخراج الفني والطباعة: مطبعة الكرامة - الرباط

مدير المجلة:

الأستاذ أحمد قسطاس



رئيس التحرير:

الأستاذ عبد الحميد العلمي



أمير المومنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله





صاحب السمو الملكي الأمير السعيد مولاي رشيد



افتتاحية

يجسد عيد العرش المجيد لدى المغاربة رأس الذكريات وسنامها، لذا تعتبر الذكرى الثامنة عشرة لتربع أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله على عرش أسلافه الميامين مناسبة لاستحضار حصيلة المنجزات، والتطلع إلى ما يقتضيه حق المواطنة لكل الفئات.

فمسؤولية أمير المؤمنين أمانة جليلة بشرف ما ناطه الله تعالى به من رعاية شؤون المؤمنين، وجسيمة بما تنطوي عليه من مسؤوليات، وعظيمة بما تحمله من التزامات قوامها ضمان العيش الكريم لكل المغاربة.

فالتقدم الذي يطمح إليه جلالة الملك أيده الله، لا يقتصر فقط على مجرد مؤشرات تتجاهل مسار كل بلد وخصوصياته، وإنما يريده أن يشكل تحولا اقتصاديا واجتماعيا حقيقيا تشمل ثماره جميع المواطنين، وهذا يتطلب الرفع من تنافسية الاقتصاد الوطني، والتقييم الموضوعي للسياسات العمومية، والتحيين المستمر للاستراتيجيات القطاعية والاجتماعية.

إلا أن اهتمام جلالته بمصالح شعبه لم يشغله عن النهوض بالسياسة الخارجية لوطنه، فالمغرب يعد شريكا فعالا من خلال تعاونه مع دول العالم، وبفضل نمودجه المتميز في تدبير الشأن الديني الشيء الذي بواه مكان الريادة في العالم الحديث حيث صار لدى القاصي والداني النموذج المحتذى والنبراس المقتدى، فهو عمدة المشاركة ومستقبل الأفارقة.

ووعيا من جلالته بشرف انتماء المغرب إلى القارة الإفريقية فقد عمل على تحقيق ذلك الشرف بتوطيد علاقاته المتميزة بها والحفاظ على المشتركات التي تجمعها.

ولا شك أن ما حققه المغرب من إنجازات في مختلف المجالات أهله لامتلاك المبادرة لقيادة قاطرة التنمية للدول الإفريقية، سعيًا منه لإشراكها في مشاريعه التنموية والإفادة من تجاربه الاقتصادية والاجتماعية.

ويرجع شرف قيادة تلك المبادرة إلى أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أيده الله، ونصره حيث لاقت زيارته لدول إفريقيا ترحيبًا منقطع النظير من لدن شعوبها ورؤساء دولها، توجت برجوع المغرب إلى بيته الإفريقي كما أسفرت عن توقيع مجموعة من الاتفاقيات شملت مختلف القطاعات تم الشروع في تفعيلها والوقوف على تقدم الأشغال بها بمباركة أمير المؤمنين وحضور مختلف الفعاليات ذات الصلة بها.

لذا يسعد إدارة مجلة دعوة الحق أن تخصص هذا العدد لذكرى عيد العرش المجيد بمشاركة مجموعة من الباحثين المتخصصين الذين أسهموا بمقالات علمية وثقوا بها هذا الحدث العظيم الراسخ في ذاكرة المغاربة أجمعين.

رئيس التحرير

مقالات العدد

الإمامة العظمى في سياقها الأشعري السني المغربي

ذ. عبد القادر بيطار

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة

لقد اهتم أئمة المذهب الأشعري بموضوع الإمامة العظمى اهتمامهم بأمور العقيدة نفسها، أولاً باعتبار المكانة الكبيرة التي يحظى بها هذا المنصب العظيم في إقامة أمور الدين وسياسة أمور الدنيا، ولكون الإمامة العظمى من الواجبات الشرعية، وثانياً أنهم لاحظوا أن بعض فرق الشيعة قد غالوا غلوا كبيرا في تقرير الإمامة، حيث اعتبروها أصلاً من أصول الدين، وأنها كالنبوة، بل جعلها بعضهم فوق النبوة والرسالة، وأنها منصب إلهي، وأنها لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله، وقد تفرع عن هذه الأصول العقيدية غير السديدة عقائد فرعية غير مسلمة، كالاعتقاد بإمامة الأئمة الإثني عشر وعصمتهم.

وما ينقله بعض الشيعة ويتأولونه في هذا الباب عموماً، لا يسلم لهم. وكما يذكر الإمام أبو القاسم الزياتي أن النصوص التي ينقلها الشيعة في باب الإمامة ويؤولونها على مقتضى مذهبهم "لا يعرفها جهابذة أهل السنة، ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون فيه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة". (1)

وأول شيء ينبه عليه أئمة المذهب الأشعري في هذا المبحث المهم هو قولهم: إن الإمامة ليست من الأصول، بل هي من الفروع. (2)

ولكن ما معنى كونها من الفروع؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تظهر من خلال تقسيم علماء العقيدة الأشعرية للأحكام الشرعية، فمنها ما يتعلق بكيفية العمل، وتسمى فرعية وعملية، ومنها ما يتعلق بالاعتقاد

(1) تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تحقيق الأستاذ رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية 1429 هـ - 2008 م.

(2) أبكار الأفكار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الأمدي، تحقيق أ.د أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث القاهرة 2002 م. ج 5 ص: 120

وتسمى أصلية واعتقادية، وأن العلم المتعلق بالقسم الأول يسمى علم الشرائع والأحكام، أي أنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع، أما القسم الثاني فينصرف إلى علم التوحيد والصفات... (1)

ومن ثم يجعل أئمة المذهب الأشعري الإمامة العظمى من مباحث علم الفقه، وليس من مباحث أصول الدين، وهؤلاء يرون أن الدين ينقسم إلى قسمين: شرائع وعقائد، فمن تكلم في العقائد كان أصولياً، ومن تكلم في الشرائع كان فروعياً، فالأصول هو موضوع علم الكلام، والفروع هو علم الفقه. (2)

وإلى هذا المعنى يشير الإمام إبراهيم اللقاني في منظومته المسماة بـ "جوهرة التوحيد":

وَوَاجِبٌ نَصَبُ إِمَامٍ عَدْلٍ بِالشَّرْعِ فَاعْلَمْ لَا بِحُكْمِ الْعَقْلِ
فَلَيْسَ رُكْنًا يُعْتَقَدُ فِي الدِّينِ فَلَا تَزُغْ عَنْ أَمْرِ الْمُؤْمِنِ

وفي شرح المقاصد للعلامة سعد الدين التفتزاني:

"الإمامة هي رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا، خلافة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحكامه في الفروع، إلا أنه لما شاعت من أهل البدع اعتقادات فاسدة مخلة بكثير من القواعد أدرجت مباحثه في علم الكلام. (3)

ويقول الإمام عضد الدين الإيجي المتكلم الأشعري في كتابه "المواقف" ممزوجاً بشرح السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني: "المرصد الرابع في الإمامة ومباحثها: ليست من أصول الديانات والعقائد، خلافاً للشيعة، بل هي عندنا من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين، إذ نصب الإمام عندنا واجب على الأمة سمعاً، وإنما ذكرناها في علم الكلام تأسيساً بمن قبلنا، إذ جرت العادة من المتكلمين بذكرها في أواخر كتبهم للفائدة المذكورة في صدر الكتاب..." (4)

(1) شرح العقائد النسفية، للإمام سعد الدين التفتزاني، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى 2000م، ص: 15.

(2) الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية بالوافسيت 1985م، ج1 ص: 41.

(3) شرح المقاصد، للإمام مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتزاني تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، ج 5 ص: 232.

(4) كتاب المواقف بشرح السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، طبعة دار الجيل بيروت، ج3 ص: 578.

ذ. عبد القادر بيطار

والذي تقرر عند أئمة المذهب الأشعري في صورته القطعية النهائية أن الإمامة العظمى قضية مصلحة اقتضتها طبيعة العمران البشري، بمعنى أنها راجعة إلى إقامة مصالح الدنيا على نحو أفضل، ومعلوم أن مصالح الدنيا في الإسلام محكومة بأمر الدين الذي يقصد إلى إسعاد الخلق معاشا ومعادا.

وعلى الرغم من كل هذا فإن النظام العام لعلم الكلام الأشعري السني يسير وفق نسق عقدي محكم، يبدأ بالإلهيات ثم النبوات، ثم السمعيات، وتدرج الإمامة العظمى في قسم السمعيات لكونها تثبت وتجب بالسمع.

وعند التأمل في هذا التقسيم المنهجي نجد أن الإمامة العظمى هي التي يرجع إليها حفظ الشريعة، لأن الإمامة العظمى عند أئمة المذهب الأشعري "عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص للرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة قوانين الشرع وحفظ حوزة الملة، على وجه يجب اتباعه على كافة الأمة".⁽¹⁾

يلاحظ الدارس للمذهب الأشعري أن هناك نظاما معرفيا متكاملا، ونسقا عقديا راسخا، يميز المدرسة الأشعرية السنية عن غيرها من المدارس الكلامية، يبدأ هذا النظام بأصول المعرفة وينتهي بالموقف من المخالفين. ففي الركن المضاف إلى الإمامة العظمى يقول الأشاعرة: إن الإمامة فرض واجب على الأمة، لأجل إقامة الإمام، ينصب لهم القضاة والأمناء ويضبط ثغورهم، ويفزي جيوشهم، ويقسم الفيء بينهم، وينتصف لمظلومهم من ظالمهم.⁽²⁾

المدلول الشرعي للإمامة العظمى:

يعرف أئمة المذهب الأشعري الإمامة العظمى بأنها: "عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص للرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة قوانين الشرع وحفظ حوزة الملة، على وجه يجب اتباعه على كافة الأمة".⁽³⁾

ويقول إمام الحرمين أبي المعالي الجويني وهو يضع للمسلمين أعظم كتاب في السياسة الشرعية: "الإمامة رئاسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا

(1) أبكار الأفكار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الأمدي، ج5:ص121.

(2) الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية منهم، للإمام أبي منصور عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد فتحي النادي، دار السلام، مصر الطبعة الأولى 2010 م، ص:380.

(3) أبكار الأفكار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الأمدي، ج5، ص:121.

متضمنها حفظ الحوزة ورعاية الرعية... وكف الجنف والحيث، ولانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين، وإيفاؤها للمستحقين". (1)

والإمامة عند الماوردي: "موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا". (2)

ويعرفها ابن خلدون بأنها: "نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به، تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإماما". (3)

ونستنتج من التعريفات السابقة أن الإمامة العظمى تتبني على أمرين أساسيين هما: حفظ أمور الدين وسياسة أمور الدنيا، أي أن جميع علماء أهل السنة الذين تصدوا لتعريف الإمامة أو الخلافة قدموا أمور الدين والعناية به على أمور الدنيا، أي جعل الثانية تابعة للأولى، وبيان أن الدنيا يجب أن تكون بالدين وشرائعه وتعاليمه. (4)

لقد اختار الإمام الأشعري - رحمه الله - التأصيل لمسألة الإمامة العظمى من خلال الحديث عن إمامة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - بناء على عقد من عقدها له من المسلمين، وبيعة من بايعه من المهاجرين والأنصار، وإجماع المسلمين عليه في وقته... وجب أن يكون إماما مفترض الطاعة. (5)

وجوب الإمامة:

ذهب أئمة المذهب الأشعري إلى وجوب نصب إمام يقوم بأمور الدين والدنيا، وهذا الوجوب شرعي، أي القول بفرضية إقامة الإمام واتباعه مستفاد من الشرع الحكيم. ولأن السادة الأشاعرة يستندون إلى أصل عقدي عظيم، وهو أنه لا يجب على الله تعالى شيء، خلافا لمن أساء الأدب مع الله عز وجل وصار يوجب على الله تعالى من جنس ما يوجب على نفسه، كما هو الشأن بالنسبة للتيار الاعتزالي.

(1) غياث الأمم في التياث الظلم تحقيق أحمد السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة الطبعة الأولى: 1432 هـ 2011 م، ص: 67

(2) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية ببيروت، 2001 م، ص: 13

(3) مقدمة ابن خلدون بتحقيق د. علي عبد الواحد وإيف، ج 2 ص: 564.

(4) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الكتاب الأول الحياة الدستورية، تأليف ظافر القاسمي، دار النفائس ببيروت، الطبعة الخامسة 1985 م، ج 1 ص: 119.

(5) اللع في الرد على أهل الزيغ والبدع، للإمام الأشعري، ص: 159. الإبانة عن أصول الديانة له أيضا ص: 251.

ذ. عبد القادر بيطار

وعندما يقرر أئمة المذهب الأشعري وجوب إقامة الإمام فهذا الوجوب يرجع إلى الخلق لا إلى الخالق، بمعنى أن إقامة الإمام واجب على الخلق دون الخالق، انسجاما مع المبدأ العقدي الراسخ: لا يجب على الله شيء. أما إذا كان المقصود من الوجوب العقلي المتعلق بنصب الإمام وأن فيه فائدة وفي تركه مضرة فهذا لا خلاف في أن العقل يستقل بإدراك، وعندئذ يكون الخلاف لفظيا ليس إلا.

ومن الأدلة على ما قرره السادة الأشاعرة ما ثبت بالتواتر من إجماع المسلمين في الصدر الأول بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على امتناع خلو الوقت من خليفة وإمام ينهض بهذه الأمور. حتى قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في خطبته المشهورة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إن محمدا قد مات، ولا بد لهذا الدين من يقوم به" فبادر الكل إلى تصديقه والإذعان إلى قبول قوله، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين، ولا تقاصر عنه أحد من أرباب الدين، بل كانوا مطبقين على الوفاق ولم ينقل عن أحد منهم إنكار ذلك ... ثم جرى التابعون على طريقتهم، واتباع سنتهم ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر إلى زماننا هذا من إقامة الأئمة، ونصب إمام متبع في كل عصر. (1)

الحكمة من نصب الإمام:

إن الحكمة من نصب الإمام في كل عصر وزمان عند أئمة المذهب الأشعري هو الحفاظ على مصالح الخلق معاشا ومعادا.

يقول إمام الحرمين أبي المعالي الجويني وهو يتحدث عن مقاصد الإمامة العظمى: "ولو ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق جامع، ولا يزعهم وازع، ولا يردعهم عن اتباع خطوات الشيطان رادع، مع تفنن الآراء، وتفرق الأهواء، لانتثر النظام ... وتفرقت الإرادات المتعارضة، ومملك الأرذلون سراة الناس، وفضت المجامع، واتسع الخرق على الراقع، ونشبت الخصومات، واستحوذ على أهل الدين ذووا العرامات، وتبددت الجماعات، ولا حاجة إلى الإطناب بعد حصول البيان، وما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن". (2)

(1) غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الأمدي، ص: 310.

(2) غياث الأمم في التياث الظلم تحقيق أحمد السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة الطبعة الأولى: 1432 هـ 2011 م،

يقول الإمام سيف الدين الآمدي المتكلم الأشعري: "الطرف الأول في بيان الوجوب سمعا: والمعتمد فيه لأهل الحق ما ثبت بالتواتر من إجماع المسلمين في الصدر الأول بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على امتناع خلو الوقت من خليفة وإمام مطاع... ثم جرى التابعون على طريقهم، واتباع سنتهم، ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر، وزمان... من إقامة الأئمة ونصب إمام متبع في كل عصر، وحكمة ذلك، أنا نعلم علما يقارب الضرورة أن مقصود الشارع من أوامره ونواهيه في جميع موارده ومصادره وما شرعه من الحدود، والمقاصات وعقود المعاملات، والمناكحات وأحكام الجهاد وإظهار شعائر الإسلام في أيام الجمع والأعياد، إنما كان لمصالح الخلق، والأغراض عائدة عليهم، معاشا ومعادا، وذلك مما لا يتم دون إمام مطاع، وخليفة متبع يكون من قبل الشارع بحيث يفوضون أزمته إليه في جميع أمورهم، ويعتمدون في جميع أحوالهم عليه، ..." (1)

صفة اختيار الإمام:

تتعدد الإمامة عند أئمة المذهب الأشعري بأمرين اثنين:

الأول: بيعة أهل الحل والعقد.

الثاني: بعهد الإمام له وعهده كما فعل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - .

وإذا كان الإجماع واقعا على أن الإمامة بوصفها منصبا دينيا ودنيويا لا يخلو منه أي عصر من العصور لما فيه من فوائد ومصالح للأمة، فإن اختيار الإمام لا يخضع لهذا المبدأ، أي لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، وإذا كان ذلك كذلك فإنه لا يشترط أيضا عدد معين في عقد الإمامة، لأنه لم يثبت عدد معدود، ولا حد محدود، بل تتعدد الإمامة بعقد واحد من أهل الحل والعقد. وقد أضاف بعض الأشاعرة، ضرورة جريان العقد بمشهد من الشهود، أي الإعلان عن هذا الأمر وإشهاره "فإنه لو لم يشترط ذلك لم نأمن أن يدعي مدع عقدا سرا متقدما على الحق المظهر المعلن". (2)

وفي هذا الصدد يقول الإمام الباقلاني: "فإن قيل: فهل يجب عندكم أن يحضر العقد للإمام قوم من المسلمين؟

(1) أبكار الأفكار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الآمدي، ج 5 ص: 132.

(2) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني، ص: 424. انظر أيضا: غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدي، ص: 324.

ذ. عبد القادر بيطار

قيل لهم: أجل، وليس يجب أن يكون لمن يحضر العقد منهم حد، فإذا حضر نفر من المسلمين تمت البيعة... وإنما يمنع أن يعقد الرجل لغيره مستسرا للإمام وخاليا به، لئلا يدعي ذلك كل أحد، وأنه قد كان عقد له سرا فيؤدي ذلك إلى الهرج والفساد". (1)

البيعة الشرعية أساس الإمامة العظمى:

كلمة البيعة ترادف كلمة العهد، أي أن المبايع كأنما يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه. (2)

وقد ورد لفظ البيعة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِن الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَن أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فسنؤتيه أجرًا عظيمًا³﴾.

وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا⁴﴾.

كما ورد مصطلح البيعة في السنة النبوية المطهرة، حيث عقد الرسول صلى الله عليه وسلم بيعات فرادی كما عقد بيعتين جماعيتين هما:

أ- بيعة العقبة الأولى: وقد وقعت حين كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل.

ب- بيعة العقبة الثانية: وقد كانت هذه البيعة تمهيدا للهجرة، وتوثيقا لموقف الأنصار من الرسول ﷺ، واطمئنانا على صفاء الجو في المدينة المنورة.

(1) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تأليف الإمام القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق الشيخ عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ص: 470.

(2) مقدمة ابن خلدون، ج 2 ص: 589.

³ سورة الفتح، الآية: 10.

⁴ سورة الفتح، الآية: 18.

إذن عقد البيعة عند السادة الأشاعرة سبب لحصول الإمامة كما يقول الإمام فخر الدين الرازي. (1)

ودليلهم على ذلك إجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على إمامة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - التي انعقدت بالبيعة.

وجوب طاعة الإمام:

فإذا كان مقصود الشارع من التكاليف الشرعية وما شرعه من حدود وعقود وأحكام... هو تحقيق المصالح للخلق، فإن ذلك لا يتم دون إمام مطاع، وخليفة متبع، يجمع الأمة على كلمة سواء. (2)

وبالنظر إلى أهمية هذا المنصب العظيم في إقامة أمور الدين والدنيا، والسهر على شؤون الأمة في حفظ بيضتهم وحرس حوزتهم وتوحيد كلمتهم، فقد أوجب العلماء السمع والطاعة لأئمة المسلمين من ولاية أمورهم. وهذا الوجوب يستند إلى الشرع الحكيم ويؤده العقل السليم.

ومن الأدلة الشرعية على ذلك:

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾³ وقوله تعالى: ﴿فأتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شحم نفسه فأولئك هم المفلحون﴾⁴ وقوله تعالى: ﴿ولإذا جاءهم أمر من الأمر أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾⁵.

¹ كتاب الأربعين في أصول الدين للرازي، تحقيق أحمد حجازي السقا، طبعة دار الجيل، الطبعة الأولى 2004، ج1 ص: 428.

(2) غاية المرام في علم الكلام: تأليف سيف الدين الأمدي، ص: 309. أبكار الأفكار في أصول الدين له أيضاً ج 5 ص: 123.

³ سورة النساء، الآية: 58.

⁴ سورة التغابن، الآية: 16.

⁵ سورة النساء، الآية: 82.

وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعة أولي الأمر، فقد جاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: "من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية". (1)

وقوله ﷺ في وجوب طاعة من ولي الأمر "فاسمعوا له وأطيعوا". (2)

وإذا كان الإجماع حقا، وما تجتمع عليه الأمة لا يكون إلا حقا مقطوعا على الحقيقة قولاً كان أو فعلاً، فإن الأمة قد أجمعت منذ الصدر الأول إلى زماننا هذا على ضرورة وجود إمام يسهر على شؤون الأمة الدينية والدنيوية. لكون نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا، ونظام الدنيا لا يحصل إلا بإمام مطاع كما يقول الإمام الغزالي. (3)

ويقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني في "الرسالة": "والطاعة لأئمة المسلمين من ولاية أمورهم وعلمائهم" (4)

ويقول الإمام أبو جعفر الطحاوي: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو على أحد منهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل، ما لم يأمرُوا بمعصية، ندعو لهم بالصلاح والنجاح والمعافاة، ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة..." (5)

وهذا المبدأ العقدي والفقهى هو الذي أجمع عليه أهل السنة أصحاب الحديث. كما يذكر الإمام الأشعري وينتصر له. (6)

فهذه النصوص الشرعية وغيرها دعوة صريحة إلى وجوب طاعة أولي الأمر في أمور الدين والدنيا، وهذا المعتقد هو قول أهل السنة والجماعة قاطبة، وهو مبدأ إسلامي راسخ كما نطقت بذلك النصوص الشرعية الكثيرة، من الكتاب والسنة والإجماع.

(1) أخرجه البخاري في الفتن، ج 7 ص: 87 ومسلم في الإمامة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، ج 2 ص: 1477.

(2) صحيح مسلم، باب الحج، ج 1 ص: 944.

(3) الاقتصاد في الاعتقاد، ص: 148.

(4) الرسالة، باب ما تنطق به الألسنة وتعتقد الأفئدة من واجب أمور الديانات من متن الرسالة، مطبعة دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء - المغرب - الطبعة الأولى سنة 2006م، ص: 10.

(5) العقيدة الطحاوية بشرح العلامة عبد الغني الميداني تحقيق محمد مطيع الحافظ، ومحمد رياض المالح، دار الفكر دمشق، الطبعة الثالثة 1402 هـ 1982م، ص: 110.

(6) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام الأشعري يعني بتصحيحه هلموت ريتير، ص: 295.

إمامة المولى إدريس والتأسيس للمذهب السني بالمغرب:

لقد مضى أهل المغرب على نهج السلف الصالح في اختيار الإمام ونصبه منذ قيام الدولة الإدريسية إلى عهد الدولة العلوية الشريفة، فبعد أن استقر المولى إدريس بن عبد الله - رضي الله عنه - (ت 177 هـ) بمدينة ويلي بايعته القبائل المغربية إماما عليهم بعد ما عرفوا نسبه الشريف وقربته من رسول الله ﷺ وفضله ودينه وعلمه وخلقه واجتماع خصال الخير فيه.

وقد تم له هذا الأمر يوم الجمعة رابع رمضان المعظم سنة اثنين وسبعين ومائة. وكان أول من بايعه قبيلة أوربة على السمع والطاعة، وكانت هذه القبيلة يومئذ من أعظم قبائل المغرب الأقصى، وأكثرها عددا ثم تلتها قبائل أخرى... حتى بايعته كافة القبائل ودخلوا في طاعته، فاستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكته. (1)

لقد أسس المولى إدريس أول دولة إسلامية مستقلة في المغرب، وكانت دعوته تقوم على أسس دينية متينة، تتمثل في الدعوة إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، كما تدل على ذلك رسالته الموجهة إلى الأمازيغيين المغاربة والتي يقول في مستهلها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عانده، ولا إله إلا الله المتفرد بالوحدانية، الدال على ذلك بما أظهره من عجب حكمته، ولطف تدبيره، التي لا تدرك إلا أعلامه، وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، أحبه واصطفاه، واختاره وارتضاه، صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين، أما بعد، فإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإلى العدل في الرعية، والقسم بالسوية، ورفع المظالم، وإحياء السنة، وإماتة البدعة، وإنفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد..." (2)

وقد استنتج العلامة المغربي علال الفاسي رحمه الله - من خطبة المولى إدريس أن أول ما تدل عليه تلك الخطبة هي قيمة المولى إدريس الأكبر العلمية والسياسية، واتجاهه العقدي الواضح البين، فالمولى إدريس إمام من أئمة السنة، وعالم من أعلام آل البيت، وبدأ الإمام دعوته بخطبة فيها عقيدته السنية بتوحيد الربوبية... (3)

(1) الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، للناصرى، ج 1 ص: 155.

(2) الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، للناصرى، ج 1 ص: 155.

(3) مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، للعلامة عبد الله كنون، اعتنى به، د محمد بن عزوز، دار ابن حزم الطبعة الأولى 2010م، ج 3 ص: 1406هـ.

د. عبد القادر بيطار

وهذا يعني على سبيل القطع أن الإمام إدريس - رضي الله عنه - لم يكن شيعيا بالمعنى السياسي المذهبي، ولا كان معتزليا بالمعنى العقدي، بل كان سنيا جماعيا في العقيدة والفكر والسلوك، وهو من آل البيت الأطهار، عمل - رضي الله عنه - على محاربة البدع والعقائد المنحرفة ونشر الإسلام في صورته السنية الصحيحة.

وقد توفي المولى إدريس - رضي الله عنه - سنة سبع وسبعين ومائة، وبايعت القبائل ابنه الأصغر حملا ثم رضيعا ... إلى أن شب فبايعوه بجامع مدينة ويلي يوم الجمعة غرة ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائة، وهو ابن إحدى عشرة سنة. (1)

وتشير كتب التراجم إلى أنه لما تمت البيعة للمولى إدريس الأصغر صعد المنبر وخطب في الناس فقال:

"الحمد لله أحمده، وأستغفره وأستعين به وأتوكل عليه، وأعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، المبعوث إلى الثقلين بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وآل بيته الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أيها الناس، إنا قد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر، وللمسيء الوزر، ونحن والحمد لله على قصد جميل، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا." فعجب الناس من فصاحته وقوة جأشه وأيقنوا أنه أحق بها وأهلها" (2)

لقد أنعم الله على أهل المغرب بنعمة الأمن والاستقرار في ظل البيعة الشرعية المتجددة لإمارة المؤمنين بوصفها دعامة أساسية لسياسة الدين والدنيا، وضمان إسعاد الأمة معاشا ومعادا.

إمارة المؤمنين في المغرب ميثاق شرعي متجدد:

إذا كان أئمة المذهب الأشعري مجمعين على وجوب الإمامة لما تحققه من مصالح دينية ودنيوية، وكان هذا الوجوب مستندا إلى الشرع الحكيم، فإن نظام المملكة المغربية الشريفة يجسد هذا الأمر انطلاقا من منصب إمارة المؤمنين المتجدد الذي يستمد مشروعيته من الدين الإسلامي الحنيف، ويتحقق بعقد البيعة الشرعية، والإجماع الذي يعد الدستور المغربي أحد

(1) الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية إعداد وتنسيق عبد الرحيم بن سلامة، الطبعة الثانية 2008م، ص: 23.

(2) الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية إعداد وتنسيق عبد الرحيم بن سلامة، الطبعة الثانية 2008م، ص: 23.

مظاهره. حيث إن "الملك، أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين، والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية." (1)

وهذا يعني على سبيل القطع، أن موضوع الإمامة العظمى التي أفرد لها أئمة المذهب الأشعري مبحثا مستقلا في مصنفاتهم العقدية فإن تطبيقات ذلك كله تجسده في المملكة المغربية الشريفة إمارة المؤمنين باعتبارها ميثاقا شرعيا متجددا، وراسخا في النظام المغربي العريق، منذ عهد المولى إدريس الأكبر، إلى عهد الدولة العلوية الشريفة.

ونستحضر في هذا الصدد ما ورد في الخطاب الملكي السامي الذي وجهه أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده للأمة بتاريخ 9 مارس 2011م بمناسبة الإعلان عن الشروع في المرحلة الموالية، من مسار الجهوية المتقدمة، وما تقتضيه من مراجعة دستورية عميقة، وإصلاحات جديدة شاملة، حيث يقول أمير المؤمنين حفظه الله:

"ولنا في قدسية ثوابتنا، التي هي محط إجماع وطني، وهي الإسلام كدين للدولة، الضامنة لحرية ممارسة الشعائر الدينية، وإمارة المؤمنين، والنظام الملكي، والوحدة الوطنية والترايبية، والخيار الديمقراطي، الضمان القوي، والأساس المتين، لتوافق تاريخي، يشكل ميثاقا جديدا بين العرش والشعب".

وما ينزع الله بالسلطان أكثر مما ينزع بالقرآن، والحمد لله على توالي الفضل والامتنان.

(1) الفصل 41 من الدستور، الجريدة الرسمية عدد 5964 مكرر 28 شعبان 1432هـ، (30 يوليو 2011م).

إمارة المؤمنين وتأصيلها الديني في فكر

أمير المؤمنين الحسن الثاني طيب الله ثراه

ذ. عبد الحميد العلمي

جامعة القرويين - فاس

تجسد إمارة المؤمنين لدى المغاربة رأس الثوابت وسنامها ، فهي مصدر فخرهم وموئل اعتزازهم ، لذا تواتر تعلقهم بها وتفانيهم في التمسك بمقتضياتها ، وذلك بما فطرهم الله عليه من الانقياد لأحكام الدين ، والتعلق بسنة المصطفى الأمين.

هذا ويعتبر أمير المؤمنين الحسن الثاني طيب الله ثراه من الملوك الذين تجسد فيهم هذا المفهوم في أرقى قيمه وأسمى معانيه ، بفضل ما أوتي من حصافة في الفهم وقوة في العارضة لذا سيهتم هذا الموضوع بتأصيل ذلك المفهوم في فكر أمير المؤمنين الحسن الثاني رحمه الله ، وذلك من خلال مقدمة تحتها مسألتان.

أما المقدمة فستعنى بمسمى إمارة المؤمنين والتأصيل الفقهي لمشروعيتها.

وأما المسألتان:

فإحداهما لها تعلق بحضورها الديني في النموذج المغربي.

والثانية لها ارتباط بتجلياتها الدينية في فكر الحسن الثاني طيب الله ثراه.

مقدمة

وتعنى بمسمى إمارة المؤمنين وأدلة مشروعيتها.

فعلى مستوى التسمية ذكر الشيخ محمد رشيد رضا أن "الخلافة والإمامة العظمى

وإمارة المؤمنين كلمات معناها واحد وهو رئاسة الحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدنيا والدين"¹.

وهذا ما نبه عليه أمير المؤمنين الحسن الثاني في أسئلة الإسلام² من حيث قيامها على

قطبين هما: حراسة الدين وسياسة الدنيا قال طيب الله ثراه:

¹ - الخلافة ، ص 17.

² - أسئلة الإسلام ، ص 5.

"فمسؤولية أمير المؤمنين تتلخص في التزامه لحماية الشريعة والعمل على إقامتها طبقا لنصوصها.... ويجب على أمير المؤمنين أن يسهر على حسن تسيير المؤسسات، وأن يعمل على جعلها خاضعة للتنظيم العقلي، وأن يبعدها عن روح المذهبية والطائفية"¹.
أما عن أدلة مشروعيتها:

فالمعلوم شرعا والمقرر عقلا أن مهام الإمامة العظمى منوطة في الابتداء بالقيام على أمر الدين وسياسة شؤون المسلمين لا نعلم في ذلك مخالفا لإجماع كافة الملل والنحل عليه من أهل السنة والشيعة والخوارج والمرجئة وذلك من باب ما يجب على الأمة من الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة².

وقد أصل المرحوم الحسن الثاني لهذا المفهوم وما يرتبط به من بيعة وخلافة بقوله:
"نشأت مؤسسة البيعة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأقرها القرآن... فهناك آيات كثيرة تثبت شرعية الخلافة، قال تعالى: "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق"^{3 = 4}.

كذلك قال في كتاب ذاكرة ملك:

"إن أمير المؤمنين يستمد مأموريته من الله تعالى"⁵ لذا نص ابن تيمية على أن مسألة الإمامة واجب ديني وأن الدين لا يقوم إلا بها.

ومما انبنى على القول بتلك الوجوبية: ضرورة نصب الإمام قال ابن خلدون: "إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين"⁶.

وبه يعلم أن حجية مشروعية الإمامة من الفقهيات الثابتة بالنقل والعقل والإجماع.

هذا عن المقدمة فماذا عن:

المسألة الأولى: وعنوانها ب:

¹ - نفسه، ص 3 و 4.

² ينظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم: 72/4 بتصرف.

³ - سورة ص، آية 25.

⁴ - أسئلة الإسلام 8 ص 5 و 6.

⁵ ذاكرة ملك، ص 55.

⁶ ابن خلدون

حضور إمارة المؤمنين في النموذج المغربي

تعتبر إمارة المؤمنين من الثوابت المرعية لدى المغاربة، فهي المؤسسة الراعية للشأن الديني والخدمة للأمن الروحي وهذا ما عبر عنه الحسن الثاني رحمه الله بقوله: "وقد شئت العناية الإلهية أن تنصهر مؤسسة السلطة الإسلامية العليا في تاريخ المغاربة، وأن تغدو من صميم ميولهم ونزعاتهم".

ومما انبنى على ذلك تعذر تصور أنظمة سياسية أو دينية في غياب استحضار الخصوصية، قال رحمه الله: "لا يمكن تصور نظام عالمي شامل للحكم إلا إذا كان الناس متشابهين في كل مكان، وكانت طبائعهم متشابهة كذلك"¹.

ولما كان ذلك التشابه متعذرا جازت صحة دعوى حضور الشخصية المميزة لنظام كل دولة على حدة ذلك أن احترام الخصوصية وما يتعلق بها من أعراف وعادات من القواعد المقررة عند علماء المسلمين، فقد شبه ابن قيم الجوزية الفقيه الذي لا يراعي تلك الحثثيات كممثل الطبيب الذي يطيب الناس من كتاب طب واحد قال: فمن فعل ذلك هلك وأهلك"².

وإحساسا من المغاربة بما أسبغ الله عليهم من نعم مبايعة أمير المؤمنين وما ترتب عنها من استقرار أحوال المسلمين على هدي من القرآن الكريم وسنة خاتم المرسلين فقد أجمعوا على التعلق بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وما زالت آثار ذلك التعلق حاضرة لدى المؤلف والمخالف بدليل اتفاق المجتمع الدولي على النموذج المغربي وانخراط كثير من الدول العربية والغربية والإفريقية في الاستفادة من تجربته والأخذ بمبادراته.

هذا عن المسألة الأولى، فماذا عن المسألة الثانية وهي:

"تجليات إمارة المؤمنين في فكر الحسن الثاني طيب الله ثراه"

تقدم الكلام عن مسمى إمارة المؤمنين وأدلة مشروعيتها لدى الحسن الثاني قدس الله روحه وعامة الفقهاء والأصوليين. وبقي الموضوع مفتقرا إلى بيان تجلياتها الدينية وغيرها في فكره رحمه الله، وسأعرض لها ضمن إفادات منها:

¹ - كتاب التحدي، ص 124.

² إعلام الموقعين: 89/3 بتصرف.

- إفادة تتعلق بمفهوم عقد الإمامة

يرى رحمه الله أن مصطلح العقد في البيعة والإمامة فاق ما هو مقرر عند فقهاء القانون في المدرسة الغربية الحديثة. فقال: "إن عقد الإمامة أشمل من العقود التاريخية التي تصورها منظرون من أمثال لوك وهوبس وروسو فتلك الأفكار التي شهدت اليوم إنعاشا وتجديدا... لا تستوفي عقد الإمامة، فهو أشمل منها جميعا وأعم"¹ وهو بهذا يشير إلى لفظ الميثاق الوارد في القرآن الذي يلزم الطرفين بالامتثال للقدسية الدينية الراحية له. لذا عبر رحمه الله عن ذلك العقد بالعهد والميثاق فقال: "هذه المسؤولية تتبني على عهد يسمى البيعة أو المبايعة وهو عبارة عن ميثاق بين المؤمنين وبين من عهد إليه تسيير أمور الجماعة والأمة"²

1- إفادة تتعلق بربط إمارة المؤمنين بالبعد الحضاري

من خصائص الفكر الديني لدى أمير المؤمنين الحسن الثاني طيب الله ثراه، ربطه إمارة المؤمنين بمفهومَي المدنية والحضارة الإسلامية. من ذلك قوله: "أما الجماعة الإسلامية فهي تكريس لمفهوم حاضرة المؤمنين، أي المؤسسة التي تقوم بجميع أمور حياتهم المدنية"³ باعتبار أن الإسلام "أفرز نمطا من أنماط التقدم والنمو يتمثل في الحضارة الإسلامية، فالإيمان لا يدعو فحسب إلى التحلي بالأخلاق الحسنة بل يدعو كذلك إلى الحضارة والتحضر"⁴.

ومما انبنى على نظرتة الحضارية أمور منها:

أ. دعوته إلى تعلم اللغات والانفتاح على الثقافات قال رحمه الله:

"فالإسلام يدعو أتباعه دعوة ملحة إلى تعلم العلوم والفنون ويسمح له بالتفتح على جميع أنواع الحضارات"⁵.

¹ - أسئلة الإسلام (8) ص 4.

² - أسئلة الإسلام (8) ص 2.

³ نفسه، ص 3

⁴ - نفسه، ص 3.

⁵ رسالة القرن، ص 2.

ذ. عبد الحميد العلمي

ب- دعوته للتشوف إلى الصدارة عن طريق التشبث بالقيم الإسلامية وإعادة النظر في منظومة التربية الدينية، قال طيب الله ثراه:

"إن الطريق إلى مركز الصدارة بين الأمم مفتوح في وجه الأمة ..وعليها أن توجه خطابا كافيا من اهتماماتها إلى الحفاظ على تلاحم الأسرة المسلمة وحمايتها من عوامل التفكك والانحلال، وأن نعيد للتربية الدينية ما كان لها من الاعتبار"¹.

ج- دعوته إلى الاعتدال والأخذ بالوسط حماية للأمة من أخطار التطرف، قال رحمه الله:

"ولعل أجمع وأنفع وصية... هي أن نطبع فكرنا وحياتنا وسلوكنا الخاص والعام بالطابع المميز لحضارتنا الإسلامية الذي ارتضاه الله لنا، ألا وهو طابع الاعتدال والوسط... فقد اختار الله لنا أن نكون أمة وسطا رحمة بنا وحفاظا على وحدتنا... وحماية لنا من أخطار التطرف"².

والقول بأخطار التطرف مشعر بنظرة الحسن الثاني الاستشرافية لهذه الآفة التي شغلت العالم كله تحت داعي الإرهاب، كما فيه دلالة على حصافة فكره وبعد نظره تجاه القضايا الوطنية والدولية.

د- دعوته إلى الأخذ بالمصالح الشرعية وتنزيلها حسب ما تتطلبه أحوال شعبه الوفي. قال رحمه الله:

"إن من بين أهدافنا الأساسية تحسين نصيب الطبقات الشعبية وإصلاح أحوالها، وجعل المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة"³.

هـ- إيمانه بحرية العبادة وضمان حق المخالف في ممارستها، قال بهذا الصدد:

"من المؤكد أن لليهود حق ممارسة عبادتهم بكل حرية. وأن للنصارى هذا الحق، لأن اليهودية والنصرانية من ديانات أهل الكتاب التي أقرها الإسلام، وشريعتنا الإسلامية لم تقر هاتين الديانتين فحسب، بل أوصتنا كذلك بالإيمان بأنبيائهما"⁴

¹ - نفسه ص 4.

² - رسالة القرن، ص 4.

³ - كتاب التحدي، ص 126.

⁴ - نفسه، ص 128.

2- إفادة تتعلق بإمارة المؤمنين والحضور السياسي:

وهو من لازم الديني، جاء في إعلام الموقعين:
"لا نقول إن السياسة العادلة مخالفة للشرعية الكاملة بل هي جزء من أجزائها وباب من أبوابها"¹.

والقول إنها من الشرع يفوض لأمير المؤمنين النهوض بما هو سياسي باعتباره فصلا من جنس ما هو ديني، جاء في كتاب التحدي:

"الفصل 19: الملك أمير المؤمنين، الممثل الأسمى للأمة، ورمز وحدتها وضامن دوام الدولة واستمرارها، وهو حامي حمى الدين، والساهر على احترام الدستور، وله صيانة حقوق المواطنين والجماعات والهيئات"².

وبه يعلم أن حضور الديني والسياسي في مهام أمير المؤمنين له استمداد من الشرع الحكيم تشهد له الأصول المقررة عند الأصوليين وما جرى به العمل في سنن السابقين.

3- إفادة تتعلق بواجب أمير المؤمنين تجاه العالم الإسلامي:

يمكن تجلية هذا الواجب من خلال رسالة القرن التي بعث بها أمير المؤمنين الحسن الثاني إلى ملوك ورؤساء العالم الإسلامي ومن أهم مضامينها:

أ- واجب النصح لعامة المسلمين انطلاقا من قوله تعالى: "وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر"³ وقوله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم"⁴.

ب- واجب الأخذ بثقافة الائتلاف، ونبذ دواعي الاختلاف، قال رحمه الله تعالى:

"إن خير ما نستقبل به هذا القرن الجديد هو الإجماع على كلمة سواء، تجعل منا بحق أمة الوحدة والتوحيد قال تعالى: "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربيكم قاعبدون"⁵ "6..

¹ - إعلام الموقعين ، 577/4

² - كتاب التحدي، ص 128.

³ - سورة العصر، آية 3.

⁴ - رواه الشيخان.

⁵ - سورة الأنبياء، آية 91.

⁶ - رسالة القرن، ص 4.

ج- واجب الرجوع إلى الأصلين والعمل بالمصدرين لأنهما المرجعان لعامة المسلمين، قال طيب الله ثراه :

"وعلينا أن نتخذ كتاب الله في جميع خطواتنا دستورا ورائدا، ونجعل رسوله المصطفى إماما وقائدا"¹.

د- واجب الأخذ بأسباب العلم وواجب العبادة، قال في رسالة القرن:
"ولنجعل شعارنا اليومي الدائم، العلم النافع والعمل الصالح والإنتاج المستمر: ولنحول دنيا الإسلام الواسعة إلى مسجد كبير نعبد الله جميعا في محرابه. ونقوم فيه بالخلافة عن الله في الأرض"²

إنها دعوى راقية للقيم الحضارية للإسلام تقوم على العلم والعمل ووحدة العالم الإسلامي الذي يمكن أن نجعل فيه مسجدا كبيرا نعبد الله تعالى في محرابه.
لقد استمر العهد موصولا لدى ملوك الدولة العلوية الذين كانت لهم أياد سابغات على مؤسسة إمارة المؤمنين واعتبارها من الثوابت الدينية والوطنية في مغربنا الحبيب.
وجريا على ذلك السنن، وقطفا من ذلك الفن، فهذا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده وارث سر الحسن الثاني قدس الله روحه، يسير على خطى والده المنعم، والتي بواته مكان الريادة في العالم الحديث. فصار لدى القاضي والداني النموذج المحتذى به والنبراس المقتدى. فهو عمدة المشاركة، ومستقبل الأفارقة، والشريك الأساس للدول الكبرى في تحقيق الأمن والانخراط في القضايا الكبرى التي تهم دول العالم، كالتغيرات المناخية والهجرة ومواجهة التطرف والاتجار بالبشر وغيرها.

إنه أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين فطوبى لنا نحن المغاربة بما من الله به علينا من خصوصية جعلتنا محل إكبار من لدن الباحثين ومحط إجلال من مختلف المهتمين والسياسيين والحمد لله رب العالمين.

¹ - رسالة القرن، ص 5.

² - نفسه، ص 6.

الإمام الأعظم: استمداد من هديه صلى الله عليه وسلم

ذ. إبراهيم الوائلي.

رئيس المجلس العلمي المحلي لإنزكان آيت ملول.

تمهيد:

لقد امتازت الشريعة الإسلامية بخصائص ومميزات جعلتها أكثر تجاوبا مع ما يحتاج إليه الناس في تنظيم كافة جوانب حياتهم الدينية والدنيوية، كما أهلتها هذه الخصائص لضمان الاستمرارية في التنظيم والتأطير وفق ما تقتضيه متطلبات الحياة وتستدعيه المستجدات، ومن أبرز هذه الخصائص والمميزات خاصية الإحاطة والشمول، لذلك ما تركت شريعة الإسلام شأنًا من شؤون الحياة تنتظم به أحوال الناس في معاشهم ومعادهم إلا تطرقت إليه وعالجته بما يكفي ويشفي، مبينة حكم الله فيه، ووجه المصلحة والحكمة منه، وبذلك جاءت شريعة محكمة عادلة، اهتمت بحقوق الأفراد والمجتمعات والأمم، بما يكفل للجميع حق العيش في الحياة الكريمة، وتوفير الظروف الملائمة لكافة مكونات المجتمع في ظل واجب الطاعة للإمام.

وبذلك حققت الشريعة الغراء للناس ما يطمحون إليه من أغراض، وكشفت لهم الغاية من خلقهم على أحسن مراد؛ ليكونوا على الحالة التي يرضاها لهم رب العباد، فلا يحسبون أنهم خلقوا عبثًا، وأنهم لا يحملون رسالة، ولا يتحملون مسؤولية، ولا يُسألون أبداً، فإن ذلك خلاف الحكمة من خلقهم وإيجادهم، لقوله تعالى: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً¹)، وقوله جل وعلا: (أحسب الإنسان أن يترك سدى)^{2 3}.

لذا كان لزاماً على الأمة في إقامة هذا الأمر الهام، الذي به ينتظم أمر الخاص والعام، الأخذ بما جاءها فيه من شرع الله، والاقتراء بهدي رسول الله ﷺ، الذي وجه أمته في كل الأمور المصيرية، ولا سيما التي يأتي منها الخلل والفساد، وتكون بسببه عرضة لأهل الأهواء والزيغ والعناد.

¹ سورة المومنون، الآية: 116. قال القرطبي: "أي مهملين كما خلقت البهائم لغير فائدة لا ثواب لها ولا عقاب عليها، مثل قوله تعالى: (أحسب الإنسان أن يترك سدى)".

² القيامة، الآية: 35.

³ قال الإمام الشافعي: "فلم يختلف أهل العلم بالقرآن فيما علمت أن السدى: الذي لا يؤمر ولا ينهى"، / السنن الكبرى للبيهقي (10: 194): وحقيقة العبادة: امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

ذ. إبراهيم الوائلي

وقد نص العلماء من خلال استقراءهم للشريعة ومقاصدها أن كل عمل لا يكون لتلبية مقصد الشريعة فيه مدخل، ولا يتبع فيه المكلف إلا هواه بإطلاق، من غير التفات إلى الأمر والنهي والتخيير، فهو عمل باطل بإطلاق؛ لكونه خلاف الحق بإطلاق.¹ ويأتي على رأس ذلك تنظيم الشؤون العامة للأمة، وتدبير سياستها الشرعية، واجتماع السلطتين الدينية والدنيوية لمن تسند إليه الأمة زمام أمرها، وتفوض إليه السهر على حماية بيضتها، وهو الإمام الأعظم، الذي يستمد سلطته من هدي النبي ﷺ الذي جاءت بعثته مبنية على تلك القاعدة التشريعية الراسخة، التي هي قاعدة اتخاذ الإمام، وجعله رمزا لطاعة الأنام، أخذاً لذلك من الأصلين، وذلك قوله تعالى: ﴿قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾². وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله: (اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة)³. ولا شك أن كل هذه المنن المتمثلة في تنظيم حياة الإنسان بأرقى التشريعات الإلهية التي هي ملاك الحياة الطيبة المبنية على القيام بالأعمال الصالحة التي تتلازم نتائجها مع مقدماتها، هو عين ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة حسنة ولبجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

الإمام الأعظم:

أ- المفهوم اللغوي: الإمامة: مشتقة من الأمّ بفتح الهمزة وهو القصد، وهو وزن فعال من صيغ الآلة سماعا كالعماد والنقاب والإزار والرداء، فأصله ما يحصل به الأمّ أي القصد؛ ولما كان الدال على الطريق يقتدي به السائر، دل الإمام على القدوة والهادي،⁴ ومنه الطريق الواسع، وبه فُسّر قوله تعالى: ﴿وَلَنُفَعِّلَنَّكُمْ لِيَأْمُرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁵ أي: بطريق يؤم، أي: يقصد⁶، ويطلق الإمام على ما يقصد ويؤتم به: ، يقال: أمّ القوم يؤمهم أمّا وإمامة، إذا كان إمامهم؛ وفي

¹ الموافقات للشاطبي (2: 294).

² سورة البقرة، الآية: 123.

³ صحيح البخاري: كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ج. 7142.

⁴ التحرير والتنوير (1: 703).

⁵ سورة الحجر، الآية: 79.

⁶ تاج العروس للزبيدي، مادة: أم.

ذ. إبراهيم الواح

التنزيل: (إني جاعلك للناس إماماً) ¹؛ أي يؤتم بك ويقتدى بك في أمور الدين وما يتبعها من أمور الدنيا مما طريقه النبوة، وسائر الأنبياء عليهم السلام أئمة؛ لأن الله تعالى ألزم الناس باتباعهم والالتزام بهم في أمور دينهم، باعتبار أن الرسول أكمل أفراد أنواع الأئمة، وأن الرسالة هي أكمل أنواع الإمامة. ² والإمام من يؤتم به ويقتدى به في الحق والخير، ولا يتناول إطلاق الإمام من يتسمى بذلك من أئمة الباطل ³، لأنهم وإن نُزلوا منزلة من يقتدى بهم في أمور الدين لم يكونوا كذلك لظلمهم وكفرهم، قال الله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ ⁴ وما سموا بذلك إلا بدليل قوله تعالى: ﴿فما أغنت عنهم آلهم التي يدعون من دون الله لما جاء أمر ربك وما زادهم غير تنبيء﴾ ⁵، وقوله سبحانه جواباً لإبراهيم: ﴿قال لا ينال عهدي الظالمين﴾. ⁶ لأن الله تعالى لما رفع منزلة إبراهيم عليه السلام وكرمه وصيَّره إماماً في الخيرات لمن في عصره، ولمن جاء بعده من ذريته وسائر الناس غيرهم، طلب الخليل من ربه أن يجعل من عقبه وذريته أيضاً أئمة يقتدى بهم، وأن يجنبه وإياهم عبادة الأصنام، بقوله: ﴿ولجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ ⁷، فأخبره الله تعالى أنه سيكون في عقبه الظالم المخالف له في دينه ولذلك استثناهم قائلاً: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾. ⁸

وأما استعمال الخليفة مرادفاً للفظ الإمام عند أئمة اللغة، فقد قال أبو منصور الأزهري: الخليفة: إمام رعيته، والقرآن إمام المسلمين، وإمام الغلام في المكتب ما يتعلمه كل يوم. ⁹

وسمي الخلفاء أئمة؛ لأنهم رُتبوا في المحل الذي يلزم الناس اتباعهم وقبول قولهم وأحكامهم؛ والقضاة والفقهاء أئمة أيضاً، ومنه الإمام الذي يصلي بالناس، لأن من دخل في صلاته لزمه اتباعه والالتزام به، لقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا

¹ سورة البقرة، الآية: 123.

² التحرير والتنوير (1: 703).

³ وإن كان ابن منظور أثبت خلافه حين قال: "الإمام كل من أئتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين...". / لسان العرب، مادة: أئم.

⁴ سورة القصص، الآية: 41.

⁵ سورة هود، الآية: 101. / أحكام القرآن للجصاص (1: 160).

⁶ سورة البقرة، الآية: 123.

⁷ سورة إبراهيم، الآية: 37.

⁸ سورة البقرة، الآية: 123.

⁹ تهذيب اللغة، مادة: أم.

ذ. إبراهيم الوائلي

تختلفوا عليه¹، وبه يثبت أن اسم الإمامة مستحق لمن يلزم اتباعه والاقتراء به في أمور الدين والدنيا.

ومن أنواع الإمامة كون الرجل الكامل قدوة لبنيه وأهل بيته وتلاميذه.² وهو ما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته". وأعلى درجة الإمامة بعد إمامة الصلاة هي الإمامة العظمى.

ب - الإمام الأعظم ومفهومه شرعا: تواترت الأدلة الشرعية من كتاب وسنة وإجماع وتناصرت لتدل دلالة قاطعة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على الإمامة العظمى، وعين الأمراء والقضاة للبلدان النائية وأمر بالسمع والطاعة، كما أمر القرآن الكريم بذلك أصلا، فحصل من مجموع ذلك ما أوجب إجماع الأمة من عهد الصحابة رضي الله عنهم على إقامة الخليفة والإمام الأعظم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأخذ بذلك منهجا في تدبير شأن خير أمة أخرجت للناس.

ونص الحديث النبوي الشريف على "الإمام الأعظم" فيما أخرجه الإمام البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده، وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته".³ وقوله عليه الصلاة والسلام: "عليكم بالسمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية"، وقوله في حديث: "الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم".

ويطلق على قائد الأمة الأعظم الخليفة؛ لما ورد في قوله تعالى: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)، وقوله سبحانه: (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين).

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين"، وقوله: "إن الخلفاء من قريش إلى أن تقوم الساعة". وفيما أخرجه الإمام البخاري من حديث أبي سعيد الخدري عن

¹ الموطأ: باب ما يفعل من رفع رأسه قبل الإمام. ج. 307 ت. الأعظمي. / صحيح البخاري: باب: إنما جعل الإمام ليؤتم به. ج. 688. / مسلم: باب انتظام المأموم بالإمام. ج. 77.

² التحرير (1: 703، 704)

³ صحيح البخاري: ج. 7138.

ذ. إبراهيم الوائلي

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما استخلف خليفة إلا له بطانتان: بطانة تأمرة بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمرة بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله".¹

وهذا الحديث الشريف لا يقف عند حد التأصيل للخلافة أو الإمامة العظمى؛ وإنما ينظر أيضا إلى مآلات أمرها، وضرورة الوعي بخطورة تأثير الحاشية في صاحبها، سلبا وإيجابا، ومن أجله قال العلامة الأندلسي محمد المهلبى فيما نقله عنه بطال: "وليس من خليفة ولا أمير إلا والناس حوله رجлан: رجل يريد الدنيا والاستكثار منها، فهو يأمره بالشر ويحضه عليه، ليجد به السبيل إلى انطلاق اليد على المحظورات ومخالفة الشرع، ويوهمه أنه إن لم يَقتل وَيَغْضَب وَيُخَفِّ الناسَ لم يتم له شيء، ولم يرض بسياسة الله لعباده ببسط العدل وبخمد الأيدي، وإن في ذلك صلاحا للعباد والبلاد.

ولا يخلو سلطان أن يكون في بطانته رجل يحضه على الخير، ويأمره به لتقوم به الحجة عليه من الله في القيامة، وهم الأقل، والمعصوم من الأمراء من عصمه الله، لا من عصمته نفسه الأمانة بالسوء بشهادة الله عليها الخالق لها، ومن أصدق من الله حديثا".²

وأما لفظ الأمير فقد أخذ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾³. قال القاضي ابن العربي فيما رجحه من معناها: "والصحيح عندي أنهم الأمراء والعلماء جميعا، أما الأمراء؛ فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم. وأما العلماء؛ فلأن سؤالهم واجب متعين على الخلق، وجوابهم لازم، وامتنثال فتواهم واجب".⁴

وقال الشيخ محمد المكي الناصري في تفسيرها: "والعجيب أن هذه الآية الكريمة ما كادت تنتهي من الأمر بطاعة الله، وبطاعة الرسول وأولي الأمر، حتى وضعت المسلمين أمام مسؤولياتهم إذا طرأ على حياتهم ما يدعو إلى التنازع والاختلاف في شؤونهم العامة، وبادرت إلى قطع دابر النزاع، إذ نصت على الحل الملائم والمناسب لكل تنازع أو اختلاف قد يقع بينهم، وذلك حتى يحسم الخلاف بينهم من الأساس، ويعود المسلمون إلى الاتفاق والائتلاف. والحل القرآني والعملي لكل تنازع يطرأ بين المسلمين كما نص عليه كتاب الله هو الرجوع إلى الله ورسوله، والنظر فيما أوجب التنازع بينهم، على ضوء ما في كتاب الله وسنة

¹ صحيح البخاري: كتاب القدر، 8 - باب المعصوم من عصمه الله.

² شرح ابن بطال على صحيح البخاري: (10: 310).

³ النساء، الآية: 58.

⁴ أحكام القرآن (2: 233).

ذ. إبراهيم الواحي

رسوله، واستخراج الحل الإسلامي الملائم من تعاليمهما وتوجيهاتهما، ومن القياس على نصوص الدين، وسوابقه..، ومادام المرجع فيه هو الله ورسوله فلا غالب ولا مغلوب، ولا منتصر ولا منهزم، وإنما تكون كلمة الله وحدها هي العليا ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾¹ وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾² على غرار قوله تعالى في آية أخرى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ)³

وأما صاحب المنار ففسر أولي الأمر بأنهم "أهل الحل والعقد والرأي الحصيف في مصالحها، الذين تثق بهم الأمة وتتبعهم فيما يقرونه، بدليل قوله تعالى بعد تلك الآية من سورتها: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾⁴

كما أخذ تأصيل لفظ "أمير" أيضا من قوله تعالى: ﴿أمرنا مترفيها﴾⁵؛ قال ابن عطية: "قلو أراد إمارة الملك في الآية لحسن المعنى"⁶

وأما من السنة فقد استهل الإمام البخاري كتاب الأحكام من جامعه الصحيح بقوله: باب قول الله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

وساق بسنده حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"⁷.

قال الخطابي: "كانت قريش ومن يليهم من العرب، لا يعرفون الإمارة، ولا يدينون لغير رؤساء قبائلهم، فلما كان الإسلام، وولي عليهم الأمراء، أنكرته نفوسهم، وامتنع بعضهم من الطاعة، فإنما قال صلى الله عليه وسلم لهم هذا القول، يعلمهم أن طاعتهم مربوطة

¹ النساء، الآية: 64.

² السورة نفسها، الآية: 58.

³ التيسير في أحاديث التفسير (1: 348)

⁴ تفسير القرآن الحكيم (4: 83)

⁵ سورة الإسراء، الآية: 16.

⁶ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (3: 445).

⁷ صحيح البخاري: كتاب الأحكام، الباب الأول الحديث الأول. ج. 7137.

ذ. إبراهيم الوائلي

بطاعته، ومن عصاهم فقد عصى أمره، ليطاوعوا الأمراء الذين كان يوليهم، فلا يستعصوا عليهم¹.

وهكذا فإن الإمامة والإمارة وردتا في الكتاب والسنة مرادفتين للخلافة.

قال الماوردي: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به، والإمام هو من تُصَدَّرُ عنه جميع الولايات في الدولة"².

وقال إمام الحرمين: "الإمامة رئاسة تامة، وزعامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا"³.

وعرفها ابن خلدون بقوله: "هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"⁴.

الانضواء تحت لواء الإمام الأعظم واجب شرعي:

يعتبر الإسلام الانضواء تحت لواء قائد الأمة وإمامها الأعظم، الذي اجتمعت عليه كلمتها وتمت له بيعتها واجبا شرعيا لا جدال فيه، فقد وردت الأدلة من الكتاب والسنة تدعو إلى ذلك وتقرره، وتحث على الالتزام بجمع الكلمة ووحدان الصف، والسير وراء الإمام الأعظم في تدبيره بطاعته وتيسير مهمته، واعتبر الإسلام الفرقة والانشقاق عذابا، وأن الانخراط في الجماعة رحمة، وأن يد الله مع الجماعة، ويقصد بذلك جماعة المسلمين وإمامهم؛ لأن كل ما يقرره الإسلام ويوجبه سواء كان دينيا أم دنيويا، لا بد أن تتحقق فيه قاعدة جلب المصلحة ودرء المفسدة، وأن تتنظم به مصالح العباد في العاجل والآجل، ليكون الكل محوطا بنظر الشارع، فهو سبحانه أعلم بمصالح الكافة فيما يغيب عنهم إدراكه والاهتداء إليه من أمور الدين والدنيا والآخرة، وأعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم ويجزون عليها، لقوله تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوافيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"⁵.

¹ أعلام الحديث لحمد بن محمد الخطابي (2: 1420).

² الأحكام السلطانية، ص: 5.

³ غياث الأمم في التياث الظلم، ص: 15.

⁴ مقدمة ابن خلدون، ص: 151.

⁵ مسلم: باب تحريم الظلم، ج. 6737.

ومن ثم كان لزاما لضبط الأعمال والسلوكات، وتحقيق الأمن ونشر ألوية العدل والمساواة، أن يقوم على رأس الأمة إمام أعظم يسير بها على هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، تبايعه على السمع والطاعة بالمعروف في المنشط والمكروه. ويقوم بتدبير شؤونها، ويتولى قيادة سفينتها نحو بر النجاة، وينزل الجميع عند رأيه الحنيف، ومقصده المنيف، حرصا على مصالح الأمة وجمعا لكلماتها، وحقنا لدمائها، بالسعي في نشر ألوية العدل بين أفرادها ومكوناتها.

يقول ابن العربي: "جاء الله بالإسلام، وبين الحق بمحمد صلى الله عليه وسلم، فانتظم الدين في سلكه، وعاد الحق إلى نصابه، وبهذا وجبت الخلافة هُدى، ومنع الله الخلق بعد ذلك أن يُترك سدى، فأُسندت الإمامة إليه، وأنبنى وجوبها على الخلق عليه..."¹

ولا شك أن في كل ما دعت إليه الشريعة الإسلامية السمحة في شأن اتخاذ الإمام الأعظم ووجوب طاعته والانتهاز إلى حكمه ورأيه وكونه حاسما للخلاف يعد تحصينا وبركة للأمة، فضلا عن كونه بداهة يشير إلى تنظيم شأنها في دينها ودنياها.

وإذا كان اتخاذ الأمير في هدي الرسول صلى الله عليه وسلم مما سنه للنفر الثلاثة في السفر، بقوله: "إذا كان نفر ثلاثة فليؤمروا أحدهم ذاك أمير أمره رسول الله ﷺ"² فكيف بالأمة وشعوبها والجم الغفير منها مما تشمله دعوة الإسلام؟

هذا فضلا عن دخول البيعة في الدين وارتباطها بالعقيدة الإسلامية التي توجب أمرها على المكلفين؛ وذلك بطاعة من ولاه الله أمر المسلمين، وعدم خلع يد من طاعة لقوله صلى الله عليه وسلم: "من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية"³.

وهذه المبادئ السامية لا بد من التذكير بها في كل مناسبة دينية ووطنية، ولا سيما مناسبة ذكرى عيد العرش المجيد التي هي رمز لتجديد البيعة والولاء لمولانا أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين دام له النصر والتمكين.

¹ أحكام القرآن لابن العربي (3: 412).

² المستدرک على الصحيحين للحاكم (1: 611)، أول باب المناسك. ح. 1623. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه".

³ صحيح مسلم: باب الأمر بلزوم الجماعة. ح. 1851.

العرف الدستوري ونظام البيعة بالمغرب

ذ. صليحة بوعكاكة

كلية العلوم القانونية والاقتصادية

بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

تعتبر الظاهرة الدستورية بمعناها المادي ظاهرة اجتماعية قديمة قدم التاريخ السياسي، فكل دولة مهما كان حجمها وشكلها ووضعها، لا بد أن تتوفر على مجموعة ولو بسيطة من النصوص الوضعية أو القواعد العرفية التي تنظم شؤون الحكم وأسس السلطة فيها. إلا أن هذه الظاهرة بدأت تعرف منذ أواخر القرن 18م اتجاهات جديدة تمثلت بالتركيز على صياغة الأسس والمبادئ المتعلقة بالحكم في شكل وثيقة رسمية أطلق عليها تعبیر الدستور ينظم السلطات العامة، ويحدد طريقة عملها، ويوضح المبادئ المتعلقة بحقوق المواطنين وحرياتهم. إلا أنه من الصعب دائما على الدساتير المكتوبة، مهما كانت متكاملة ومفصلة، أن تلم بكافة جوانب الحياة الدستورية وملابساتها، لذلك يفرض من خلال الممارسة اتباع بعض القواعد التي لم ينص عليها الدستور أصلا، والتي تقوم بتفسير أو تطوير أو حتى تعديل بعض الأحكام الدستورية، ومن الأمثلة عليها: "ممارسة المحاكم القضائية في الولايات المتحدة الأمريكية، ولاسيما المحكمة العليا، مراقبة دستورية القوانين رغم أن الدستور الأمريكي لم ينص أصلا على مثل هذا الأمر، وقيام الحكومة في فرنسا بإصدار المراسيم التشريعية، رغم أن هذا الفعل يعتبر مخالفا لروح دستور الجمهورية الثالثة الصادر في عام 1875م، ولنص دستور الجمهورية الرابعة الصادر في عام 1946م، والذي يشير في مادته 13 إلى أن الجمعية الوطنية تصوت وحدها على القانون، ولا يمكنها أن تفوض هذا الحق¹، ومثال على ذلك أيضا: تجديد انتخاب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية مرة واحدة، إلى أن تم خرق هذا العرف من طرف الرئيس "فرانكلين روزفلت" الذي تم تجديد انتخابه مرتين متوالياتين، إلا أنه ارتقى إلى مستوى القاعدة الدستورية المكتوبة بمقتضى التعديل الدستوري لسنة 1951م².

وفي هذا المقال سنحاول ملامسة بعض الأعراف الدستورية المنظمة للمؤسسات في النظام السياسي المغربي، مركزين على آلية البيعة التي تعتمد عليها مؤسسة إمارة المؤمنين، والتي يصبح بموجبها الملك إماما وأميرا للمؤمنين.

¹ - محمد عرب صاصيلا، أنظمة الحكم المعاصرة، مطبعة جامعة دمشق، 1989م، ص: 21، 22، 23، 24 بتصرف.

² - رقية المصدق، القانون الدستوري والمؤسسات السياسية (النظام السياسي المغربي وأنظمة أخرى معاصرة)، الجزء الثاني، دار توبقال للنشر، 1987م، الدار البيضاء، ص: 45.

ذة. صليحة بوعكاك

فمعلوم أن إمارة المؤمنين "شديدة الاتصال بنظام البيعة، إذ هي قرينتها بل ثمرتها، فالبيعة بهذا الاعتبار تبقى، الركن الأساس لاكتمال شرعية الملك في هذا النظام بصفته أميرا للمؤمنين، وإن لم يقع التنصيب عليها بالاسم في الوثيقة الدستورية خاصة، فإنه لم يثبت تاريخيا أن تولى سلطان مغربي عن مرسوم البيعة"¹.

وعليه سنتناول هذا الموضوع من خلال مبحثين اثنين:

أولا: ماهية العرف الدستوري وقيمه الدستورية.

ثانيا: آلية البيعة في النظام السياسي المغربي ومدى اعتبارها عرفا دستوريا.

المبحث الأول: ماهية العرف الدستوري وقيمه الدستورية

المطلب الأول: تعريف العرف الدستوري وأنواعه

أولا : تعريف العرف الدستوري

يعرف العرف الدستوري على أنه: "تواتر العمل وفقا لمسلك معين في أحد الموضوعات الدستورية بحيث يكتسب هذا المسلك صفة الإلزام"²

ومن تعريفاته أيضا: "تصرف إحدى الهيئات الحاكمة في مسألة دستورية على نحو معين، فتتسأ من تكرار هذه التصرفات على مر الزمن قاعدة غير مكتوبة يكون لها إلزام قانوني"³.

وإذا كانت العادات والتقاليد عموما تمثل سلوكا اجتماعيا يطبعه التواتر، فلكي تتحول العادة إلى عرف دستوري ينظم السلوك السياسي في الدولة عليها أن تتوفر على عدة عناصر مادية ومعنوية. جوهر العناصر المعنوية هو تولد الاقتناع لدى المجتمع بوجوب اتباع عادة سياسية معينة في نازلة سياسية محددة، فلا يكفي أن يتكرر اتباع قاعدة معينة بصفة عامة لمدة طويلة ثابتة لكي تنشأ القاعدة الدستورية العرفية، بل يجب فضلا عن ذلك أن يقوم في

¹ - عبد المجيد بوكير، السلطة السياسية ونظام الحكم في الفقه الدستوري الإسلامي، ط1، مكتبة دار السلام، الرباط، 2011م، ص:100.

² - حسن بوديار، الوجيز في القانون الدستوري، دار العلوم للنشر والتوزيع، ص:26.

³ - عبد الكريم علوان، النظم السياسية والقانون الدستوري، دار الثقافة، عمان، ط1، 2001م، ص:294.

ذهن الجماعة اعتقاد بإلزامية القاعدة العرفية، وبأنها واجبة الاتباع باعتبارها قاعدة قانونية لها ما لسائر القواعد القانونية من الاحترام¹.

أما الركن المادي للعرف الدستوري فيتجلى في السلوك أو التصرف الذي يصدر عن إحدى السلطات العامة في الدولة ويشترط توفره على عدة خصائص هي: التكرار، والعمومية، والوضوح، والثبات والاطراد، والقدم.

- التكرار: لكي يتوفر الركن المادي للعرف الدستوري لابد أن يتكرر سلوك الهيئات العامة بشأن مسألة معينة حتى يستقر في ضمير الجماعة ضرورة احترامه وعدم جواز مخالفته.
- العمومية: تعنى التزام جميع الهيئات العامة المعنية وباقي مكونات الجماعة بمضمون العادة المتبعة دون أن يصدر من إحداها أي رفض وعدم قبول لمضمون هذه العادة.

- الوضوح: ومعناه ارتفاع أي لبس أو غموض عن العرف أو العادة المتبعة، بحيث تكون واضحة ومحددة، ولا تسمح بوقوع أي خلط أو اضطراب أو تعدد الآراء بشأن معناها وتفسير مضمونها.

- الثبات والاطراد: ويرتبط هذا الشرط بالتكرار ويلزمه، ومعناه الاستقرار والثبات على اتباع العادة والعرف دونما خروج عليها، أو انقطاع عنها من طرف الهيئات الحاكمة المعنية ولو لمرة واحدة.

- القدم: لكي تصبح العادة عرفا لابد أن تستمر في الزمن بالقدر الذي يدل على ثباتها واستقرارها، والجماعة هي من تقدر هذه المدة حينما تسمح بتحول العادة إلى عرف.

ثانيا: أنواع العرف الدستوري

يتم التمييز داخل العرف الدستوري بين ثلاثة أنواع هي: العرف المفسر، والعرف المكمل، والعرف المعدل وبيانها في التالي:

¹ - أحمد مفيد، النظرية العامة للقانون الدستوري والمؤسسات السياسية، ط 1، مطبعة أنفو برانت، 2007م، ص: 13.

1. العرف المُفسّر

يأتي هذا العرف بهدف إيضاح وتفسير قاعدة دستورية مكتوبة غامضة أو مبهمة، ليتمكن المخاطبون بها من تطبيقها، فهو لا يقوم أبدا بإنشاء قاعدة دستورية جديدة، ولكنه يفسر قاعدة موجودة أصلا مصدرها التشريع وليس العرف.

فقد تتضارب الآراء والمواقف إزاء تفسير بند من بنود الدستور أو فصل من فصوله، واجتماع الجهود على التوصل إلى تصور توافقي لما ينبغي السير عليه ينشئ ممارسة تتحول إلى أعراف دستورية تفسر ما اختلف على تأويله في النصوص المكتوبة أصلا. كمثال على ذلك: المنعطف الذي سارت عليه اختصاصات رئيس الجمهورية الثالثة بفرنسا، فبعد انتخاب "جيل كريفى Jules grevy" كرئيس وتكرس تفوق الجمهوريين تكون العرف الدستوري الذي قلص من موقع الرئيس وجمد اختصاصاته الدستورية كحق حل البرلمان فأضحت رئاسة مجلس الحكومة تشكل القطب الرئيسي في هذا النظام¹،².

2. العرف المكمل

إذا كان العرف المُفسّر يأتي ليفسر نصا غامضا أو مبهما، فالعرف المُكمل يأتي لیسد فراغا أو ثغرة تشريعية لم يتطرق إليها نص مكتوب.

فبسبب التعميم الذي قد يشوب أحيانا المواد المكتوبة، أو إغفال بعض المواد أحيانا لمسائل تكون منطقية ولازمة حتى يكتمل موضوع البند أو الفعل تظهر الأعراف الدستورية إلى جانب القواعد الدستورية المكتوبة.

ومثال على ذلك:

- إغفال دستور الجمهورية الثالثة عام 1875م لذكر منصب رئيس مجلس الحكومة.
- الفصل بين رئاسة الجمهورية ومهام أخرى. وأيضا تكريس العرف الدستوري الذي يفرد تسيير دفة السياسة الخارجية بفرنسا لرئيس الجمهورية.

¹ - أحمد السامي الإدريسي، عناصر من النظرية العامة للقانون الدستوري، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، عدد 54، ط12004م، ص: 78.

² - يراجع بشأن الجهة التي تملك حق التفسير (السلطة التأسيسية أو السلطة المؤسسة أو الاجتهاد القضائي): إسماعيل الغزال، القانون الدستوري والنظم السياسية، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر، ص: 27.

- والتوزيع الطائفي لمناصب رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة ورئاسة المجلس النيابي في لبنان¹.

3. العرف المعدل:

يسعى العرف المعدل إلى تعديل القاعدة الدستورية المكتوبة، إما بالإضافة أو الحذف، فهو لا يفسر قاعدة دستورية غامضة، ولا يكمل قاعدة دستورية ناقصة، وإنما يأتي بقواعد جديدة، أو يعطل قواعد دستورية مكتوبة موجودة أصلاً.

ويمثل العرف المعدل أو الملقى الصورة السلبية للممارسة الدستورية العرفية فهو يؤدي إلى تعطيل واضح لبنود من الدستور وذلك بفرضه لسلوك مناقض لما قصده السلطة التأسيسية.

ومثال على ذلك مسألة تفويض التشريع في الجمهورية الثالثة (مثال مر بنا).

ومثال ذلك أيضاً:

ما كان معمولاً به إلى غاية 1998م من انعقاد مجلس الوزراء اللبناني مرة في القصر الجمهوري ومرة أخرى في السراي الحكومي بينما تنص المادة 65 من الدستور صراحة بأن اجتماعات المجلس تكون في مقر خاص به².

المطلب الثاني : القيمة القانونية للعرف الدستوري والمفاهيم المشابهة له

أولاً: القيمة القانونية للعرف الدستوري

يتميز داخل العرف الدستوري كما مر علينا بين العرف المفسر والعرف المكمل والعرف المعدل.

ولا يثير العرف المفسر والمعدل اختلافات قانونية كثيرة فقد اعترف أغلب الفقه³ لهما بنفس المكانة وبنفس القيمة القانونية التي تتمتع بها النصوص الدستورية المكتوبة.

1 - يراجع: أحمد السالمي الإدريسي، مرجع سابق، ص: 78 و79.

إسماعيل الغزال، مرجع سابق، ص: 28.

2 - أحمد سرحال، القانون الدستوري والنظم السياسية: الإطار والمصادر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2002م، ص: 205.

3- عبد الرحمان القادري، القانون الدستوري والمؤسسات السياسية، شركة بابل للطباعة والنشر، الرباط، 1990م،

بينما اختلف الفقهاء بخصوص القيمة القانونية للعرف المعدل للقاعدة الدستورية المكتوبة.

فقد يتجاوز العرف الدستوري مسألة تأويل نص دستوري أو تكمليه إذا كان ناقصا إلى خرق القاعدة الدستورية المكتوبة، هذا الخرق يفسر الجدل المثار حول قيمته القانونية، فقد ذهب البعض إلى إعطائه مكانة بين مصادر القانون الوضعي وعلى هذا الأساس يمكن أن يتدخل لإبطال النصوص الدستورية، إلا أن هذه القيمة التأسيسية للعرف الدستوري لم تتل الإجماع، ذلك أنه يعتبر من خلق الحاكمين وينتج عنه خرق متكرر للنص القانوني لا عن اقتناع المحكومين الذين لا يتدخلون إلا ضمنيا لتقبل النتائج^{1 2}.

ثانيا: التمييز بين العرف الدستوري والمفاهيم المشابهة

(1) التمييز بين العرف الدستوري والممارسات الدستورية

تختلف الممارسات الدستورية عن الأعراف الدستورية في كونها تتمتع بنصيب أقل من الاستقرار، وتعتبر وليدة ظروف معينة، وليست لها أية قوة إلزامية، لذا فليست لها أية قيمة قانونية. وغالبا ما تكون هذه الممارسات مرتبطة بشخصية سياسية معينة. فالرئيس الفرنسي "دوغول" مثلا جعل من المسائل المتعلقة بالسياسة الخارجية مجالا خاصا به وقد لعب دورا أساسيا في تسوية قضية الجزائر، وتشكل الممارسات الدستورية في بعض الأحيان نواة لعرف دستوري، وتعطينا الجمهورية الفرنسية الخامسة أمثلة هامة في هذا الصدد : ففي مارس 1960م رفض رئيس الجمهورية تطبيق المادة 29 من الدستور والتي تقضي بأن يستدعي رئيس البرلمان إلى عقد دورة استثنائية بناء على طلب رئيس الوزراء أو أغلبية الجمعية الوطنية لبحث جدول أعمال محدد، فقد طلبت أغلبية الجمعية الوطنية دعوة البرلمان للبحث في اقتراحات قوانين تتعلق بالزراعة وعلل رئيس الجمهورية رفضه توقيع مرسوم الدعوة بأن اجتماع البرلمان الاستثنائي يضر بسير السلطات العامة وذلك استنادا إلى المادة 5 من الدستور، وقد أكد

ص: 90.

¹ - رقية المصدق، مرجع سابق، ص: 45.

² - يراجع بخصوص هذا النقاش: عبد الرحمان القادري، المرجع السابق، ص: 90 وما بعدها.

الرئيس "جيسكار ديستان" هذا الموقف عندما قرر استدعاء البرلمان في جلسة استثنائية في مارس 1979م مما يفيد أنه كان بإمكانه، رفض استدعاء البرلمان لو أراد ذلك¹.

(2) التمييز بين العرف الدستوري والدستور العرفي

الدستور العرفي هو الدستور الذي يستمد مصدره الأساسي من الأعراف والتقاليد والذي لا تتجسد أحكامه وقواعده في نصوص مكتوبة أو مدونة، وقد تستند بعض قواعد الدستور العرفي لأحكام قضائية أو تصريحات رسمية أو مواقف حكومية ظرفية، ولهذا يفضل البعض أن يطلق على هذا النوع من الدساتير تعبير الدساتير غير المكتوبة لأنه أكثر دقة².

لذلك لا يجب الخلط بين مفهومي العرف الدستوري والدستور العرفي، فالدستور العرفي هو مجموعة من القواعد والأحكام الدستورية التي توجد في إطار دولة لا تتوفر على دستور مكتوب كالـدستور الإنجليزي مثلاً. أما العرف الدستوري فيراد به - كما رأينا - مجموع القواعد الدستورية العرفية التي توجد إلى جانب القواعد الدستورية المكتوبة في إطار دولة لها دستور مكتوب³.

المبحث الثاني: آلية البيعة في النظام السياسي المغربي ومدى اعتبارها عرفاً

دستوريا

عرف الفقهاء والمؤرخون المغاربة البيعة على أنها "عقد يتضمن التزام طاعة السلطان الجديد، يمضيه من بيدهم الحل والعقد ولهم كلمة مسموعة في الأمة، من وزراء وعمال وقضاة وأمناء وشرفاء وعلماء وعدول وقواد الأجناد ورؤساء الحرف وغيرهم"⁴ على أن يقوم هذا السلطان بحفظ الدين ورعاية مصالح الأمة.

¹ - رقية المصدق، مرجع سابق، ص: 45 و46.

² - محمد عرب صاصيلا، مرجع سابق، ص: 22.

³ - أحمد مفيد، مرجع سابق، ص: 90.

⁴ - عبد الوهاب بن منصور، ملحق كتاب العز والصولة في معالم نظم الدولة، لمؤلفه عبد الرحمان بن زيدان، الجزء الأول، المطبعة الملكية، الرباط، 1381هـ - 1961م، ص: 401.

فمنذ القرن الثامن الميلادي ومع تعاقب سلالات مختلفة على العرش والمغرب يطبق نظام البيعة الإسلامية وتميز انتقال السلطة بوجود آليتين اثنتين هما ولاية العهد والبيعة تم استتباطهما من أحكام الفقه الإسلامي والممارسة التاريخية للحكم في غياب أحكام دستورية مدونة¹

ومع بروز الحركة الدستورية لم يتخل الملوك المغاربة عن آلية البيعة بالرغم من دسترة ولاية العهد، وهذا ما أكد عليه الحسن الثاني رحمه الله: "إن البيعة رباط خاص قائم بيني وبين كل مغربي ... إن ذلك يشكل أحسن ضمانة ضد التشكك والانتهاك المتولدين عن طول ممارسة السلطة في إطار نصوص قانونية دستورية محددة..."². وأكد عليه الملك محمد السادس، نصره الله، حينما قال: "لقد قيض الله لنا أن نترفع على عرش أجدادنا الميامين وفق إرادة والدنا الذي أسند إلينا ولاية العهد وبناء على مقتضيات الدستور وطبقا للبيعة التي التزم بها ممثلو الأمة"³.

والبيعة التي مارسها المغفور له الحسن الثاني رحمه الله وجلالة محمد السادس نصره الله، هي استقرار تاريخي يثبت اطراد هذه الآلية وعدم التخلي عنها من السلاطين العلويين.

المطلب الأول : اطراد آلية البيعة تاريخيا

منذ القرن الثامن الميلادي والمغرب يطبق نظام البيعة واستمر على ذلك مع تعاقب سلالات مختلفة على العرش فكانت الدولة المرابطية (1073م - 1147م) بعد ذلك، ثم دولة الموحدين (1130م - 1276م)، تلتها دولة المرينيين (1258م - 1420م)، فالسعديين (1504م - 1659م)، فالعلويين (ابتداء من 1631م) وخلال كل هذه العهود طبقت نظريات الحكم الإسلامي في تصريف شؤون السلطة.⁴

وقد عرف تاريخ البيعة في المغرب عدة أنواع من البيعات، منها:

1- بيعة السلطان الجديد عندما يتوفى سلفه.

¹ - عبد المجيد بوكير، مرجع سابق، ص: 93.

² - الملك الحسن الثاني، ذاكرة ملك، حوارات إريك لوران، كتاب الشرق الأوسط، 1993م، ط3، ص: 55.

³ - خطاب الملك محمد السادس في 20 يوليوز 2000م، موقع البوابة الوطنية، المملكة المغربية: maroc.ma

⁴ عبد المجيد بوكير، مرجع سابق، ص: 93 وص: 121.

ذة. صليحة بوعكاكة

- 2- أو ببيعة السلطان الجديد عندما يتنازل سلفه عن الملك، ومثاله (بيعة السلطان مولاي يوسف بعد تنازل أخيه المولى عبد الحفيظ).
- 3- أو يتولى الملك بعهد أبيه في حياته، ومثاله عهد الملك محمد الخامس لابنه الحسن الثاني رحمهما الله قيد حياته¹.
ففي حالة التنازل مثلاً:

كان السلطان المتنازل يوجه رسالة إلى الأمة أو إلى رجال حكومته مشيراً فيها إلى أسباب تخليه عن الملك داعياً لهم بالتوفيق في اختيار خلف صالح له، وإذ ذاك يجتمع أهل الحل والعقد من الحكومة والأمة لاختيار الملك الجديد ومبايعته².

وفي حالة ولاية العهد:

قد ثبت تاريخياً استشارة السلطان لحكومته ومستشاريه في اختيار ولي عهده فإذا حصل الاتفاق على شخص وغالباً ما يكون ولده، أصدر ظهيراً بتعيينه في ذلك المنصب يُقرأ على منابر المساجد، ويبلغ إلى جميع أفراد الأمة وطبقاتها، تبليغاً لا يبقى معه لبس وعندما يقضي الله بوفاة الملك بعد ذلك تكفي الحكومة بإصدار إعلان يتضمن تنفيذ عهد الملك الراحل للملك الجديد³.

ويبادر أهل الحل والعقد في الأمة وذوو الحثيات فيها والقائمون على أمرها والمهيمنون على شؤونها، وفي ضمنهم رهط في السراة والشرفاء والأعيان والوجهاء فيذهبون توا إلى الاجتماع والإشهاد على أنفسهم أمام العدول بمبايعة الملك المطاع الذي يقع عليه الاختيار والإجماع، هكذا يجري في كل القبائل والمداين والبوادي والحوضر، فلا يختلف عن عقد البيعة في كل القطر المغربي أية جمهرة أو فئة⁴.

وقد يؤثر بعض الأحيان على طريقة البيعة بالإشهاد العدلي طريقة أخرى قد لا تختلف عنها في شيء كثير فيكتفي بتحرير البيعة في أسلوب مشجع، وتذيل بتوقيعات مختلف

¹ - عبد الوهاب بن منصور، ص: 364.

² - عبد الوهاب بن منصور، ص: 369.

³ - المرجع السابق، ص: 270.

⁴ - عبد الرحمان بن زيدان، مرجع سابق، ص: 98.

ذة. صليحة بوعكاكة

الطبقات التي تباع ملكها الجديد للاضطلاع بأعباء الرعية والحرص على صيانة الشريعة الإسلامية والإخلاص لله سرا وعلانية¹.

وقد تميزت بيعات المغاربة لسلطينهم بأنها بيعات مكتوبة² تتضمن نصوصها في مجملها بعد حمد الله وشكره والثناء عليه سبحانه وبأسلوب وألفاظ دقيقة الصلاة والسلام على رسول الله، والدعاء للعلماء والخلفاء وللإمام وما خص الله به هذا البلد الكريم من ورثة النبي الكريم في الخلافة، ثم تذكر حسنات السلطانين - السابق والمبايع - في العلم والخلق والجهود لإعلاء الدين. ثم يتم إشهد الله وملائكته بالإقرار بالسمع والطاعة للسلطان في المعروف حسب الاستطاعة ومبايعته ببيعة يبتغي بها رضى الله وينتظم بها سلك جماعة المسلمين والالتزام بإمامته ثم يدعى دعاء حسنا.

ويذكر بعد ذلك تاريخ البيعة وأسماء المبايعين من العلماء والأعيان وغيرهم، وقد يذكر أسماء القبائل وزعمائها.

ويكتب المبايعون أسماءهم بأشكال معينة يتفننون في رسمها حتى لا يقدر أحد على تزوير الشهادات بأسمائهم³.

وقد كان المعتاد والمعهود أن توضع هذه البيعات في الضريح الإدريسي معلقة في جدران القبة الشريفة تبركا بها وقد استمر الحال على هذا إلى عهد السلطان المولى عبد الحفيظ. وكان عقد البيعة يكتب أولا بفاس في غالب الأحيان وإذا بويع الملك الجديد في غيرها فلا تعتبر بيعته تامة وسلطنته شرعية إلا بعد اعتراف علماء فاس به⁴.

¹ - عبد الرحمان بن زيدان، مرجع سابق، ص: 9.

² - عكس بيعات أهل المشرق فمنذ الصدر الأول للإسلام لم تتعد أن تكون مبايعة شفاهية تخرج من الأفواه وتحتل أن تصبح بعد حين لغوا ملفوظا - عبد الرحمان بن زيدان، مرجع سابق، ص: 8.

³ - تم استبطاء هذه الخطوات من نصوص بعض البيعات كنص بيعة المولى عبد الرحمان بفاس في 15 ربيع الأول 1238 هـ بعد وفاة عمه السلطان المولى سليمان وبعده منه. وبيعة محمد الرابع بن عبد الرحمان بن هشام الذي استخلفه أبوه على حداثة سنه عام 1255 هـ ولما توفى والده سنة 1276 هـ بويع بمكناس ملكا، يراجع بخصوص هذه النصوص:

عبد الرحمان بن زيدان، مرجع سابق، ص: 10 وما بعدها.

⁴ - عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص: 401.

وقد عرفت ببيعة الملك محمد السادس نصره الله تجديدا وتحديثا بخصوص الموقعين على نص البيعة إذا وقع عليها الأمراء (مولاي رشيد ومولاي إسماعيل ومولاي هشام)، ورئيسا مجلس النواب ومجلس المستشارين، وأعضاء الحكومة، ومستشارو صاحب الجلالة، ورؤساء المجالس العلمية، ورئيس المجلس الأعلى، والوكيل العام للملك ورئيس المجلس الدستوري، والضباط السامون، ورؤساء الأحزاب السياسية وغيرهم.¹

المطلب الثاني: القيمة الدستورية لآلية البيعة

لقد اختلف الفقهاء والدارسون حول القيمة الدستورية لآلية البيعة وانقسموا بخصوص ذلك إلى اتجاهين اثنين:

- اتجاه يرى بأنه لا قيمة دستورية لآلية البيعة مع وجود نص دستوري ينظم ولاية العهد (ف43 من د 2011 م مقابل ف 20 من د 1996م).

- اتجاه يرى بأن آلية البيعة ضرورية لاستكمال انتقال السلطة وشرعيتها وهي المؤسس لدور أمير المؤمنين².

وبالرجوع إلى الشرعية الدينية أو السند الشرعي للسلطة والإمامة في النظام السياسي المغربي يتضح أنه لا يمكن التخلي عن آلية البيعة والاكتفاء بما هو منصوص عليه في الدستور من أحكام تهم تولية العرش، فهي التي تضي المشروعية الدينية على المؤسسة الملكية، وتمنح السمو لمؤسسة إمارة المؤمنين سواء من ناحية مصدر السلطة أو مقدارها أو حدودها، أو النتائج المترتبة عنها. مما يدفعنا إلى القول: إن آلية البيعة في النظام السياسي المغربي خاضعة لعرف دستوري يمكن أن يصنف مكملا لما ورد في الدستور.

وهذا العرف سابق عن وجود الدستور، ولم يلغ ظهور الدستور بقاءه واستمراره وضرورة اللجوء إليه، بل هو ملازم له ولا استغناء عنه. وقد درج الملوك والسلاطين المغاربة من الدولة

¹ - يراجع نص ببيعة الملك محمد السادس بالموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية:

<http://www.habous.gov.ma>

² - يراجع بخصوص هذا النقاش: محمد اتركين، السلطة الشرعية في دار الإسلام: دراسة لآليات وقواعد القانون العام الإسلامي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006م، ط 1، ص: 98 وما بعدها.

وعباس بوغانم، المؤسسة الملكية والمسألة الدينية بالمغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة محمد الأول، وجدة، 2006م، ص: 95.

الإدريسية إلى اليوم على اتباع آلية البيعة والحفاظ عليها مدة طويلة من الزمن في قبول تام من أطراف البيعة (المبايع والمبايع)، مما تدل عليه نصوص البيعات الكثيرة، وفي اعتقاد راسخ بالزامية هذه الآلية، إذ لم تتم شرعية الملك والسلطان إلا بها.

ويتضح جليا مما سبق أن عرف البيعة يتوفر على جميع أركان العرف الدستوري المتمثلة في التكرار والاستقرار والاطراد والقدم والعمومية والوضوح والإلزام، وبالتالي فآلية البيعة في النظام السياسي المغربي هي عرف دستوري كامل الخصائص والأركان.

خاتمة:

إن العرف الدستوري المتمثل في البيعة منح للنظام السياسي المغربي خصوصية فريدة جعلته قادرا على المزاوجة بين نظام تقليدي ذي شرعية دينية وتاريخية، ونظام دستوري حديث يؤمن بقيم الدولة المدنية الحديثة.

ويستحق هذا النظام في أسسه الفكرية وخصائصه التطبيقية أن يكون نموذجا يحتذى به في بعض الدول العربية والإسلامية للخروج من المأزق الذي تعانيه، بعد "الثورات العربية" والمتعلق بالشرعية والمشروعية، والتوفيق بين المرجعية الدينية وبين قيم الدولة المدنية. وهو يثبت بما لا يدع مجالا للشك في أن النظم التقليدية بإمكانها الاستمرار إذا ما سمحت للنظم الحديثة بالتعايش والتلاحق معها استفادة من التجارب البشرية المشتركة.

تجديد بيعة أمير المؤمنين ضماناً لإقامة شعائر الدين

ذ. إدريس يعكوبي

باحث - فاس

إن من أجل النعم التي ينعم بها المؤمن في هذه الدنيا؛ أن يعيش في أمن روعي يعينه على عبادة الله سبحانه وتعالى، وعلى إقامة شعائر دينه، وقد من الله سبحانه وتعالى بهذه النعمة على الأمة المغربية، فخصها بوجود إمارة المؤمنين، التي من أهم وظائفها؛ حماية الدين، فبوجودها وفي ظلها يشعر المواطن المغربي أنه في حماية تضمن له أن يمارس شعائر دينه في طمأنينة وسكينة وهدوء.

ومن أجل ضمان استمرار هذه النعمة، جعل المغاربة إمارة المؤمنين إحدى أهم الثوابت الوطنية التي تجب المحافظة عليها؛ لإثبات هويتهم وخصوصيتهم، وإدامة أمنهم واستقرارهم، فارتبطوا بها وتعلقوا بها من خلال البيعة الشرعية، التي لها أصل في الدين متين، تقتبس حجيتها وقديسيته من بيعة الصحابة للنبي المصطفى الأمين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، التي أشار إليها ربنا الكريم، في محكم كتابه المبين، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.¹

وقد اعتاد المغاربة أن يجددوا هذه البيعة كل عام، بمناسبة الاحتفال بعيد العرش العلوي المجيد، عيد اعتلاء أمير المؤمنين محمد السادس نصره الله وأيده، عرش أسلافه المنعمين، وبذلك تستمر إمارة المؤمنين وتستمر معها إقامة شعائر الدين، وفي هذا السياق يجيء هذا المقال تحت هذا العنوان: "تجديد بيعة أمير المؤمنين ضماناً لإقامة شعائر الدين" الذي أردت أن أبرز من خلاله جملة من الأمور أرى أن لها أهمية كبرى في حياة المواطنين، منها:

¹ - سورة الفتح، الآية: 10.

1. إبراز تجديد البيعة لأمر المؤمنين؛
 2. إبراز أهمية إمارة المؤمنين في إقامة شعائر الدين؛
 3. بيان تجليات عناية أمير المؤمنين بمقومات إقامة شعائر الدين.
- وقد قسمت هذا المقال بعد هذه المقدمة إلى مبحثين وخاتمة.
- فالمبحث الأول تعرضت فيه لبيان مفهوم المصطلحات، وذلك في مطلبين، أحدهما بينت فيه مفهوم "تجديد البيعة"، وثانيهما بينت فيه مفهوم "شعائر الدين".
- وأما المبحث الثاني فتحدثت فيه عن إقامة شعائر الدين وإمارة المؤمنين، وذلك في ثلاثة مطالب، أولها تحدثت فيه عن وجوب المحافظة على إقامة شعائر الدين، وثانيها تحدثت فيه عن وظيفة أمير المؤمنين في إقامة شعائر الدين، وثالثها خصصته لبيان عناية أمير المؤمنين بإقامة شعائر الدين.

المبحث الأول: بيان مفهوم المصطلحات

المطلب الأول: مفهوم تجديد البيعة

الفرع الأول: مفهوم "التجديد".

التجديد مصدر جدد الشيء يجدهه تجديداً، إذا جعله وصيره جديداً، والجديد هو: ما أحدث إنشاؤه، ومنه قوله تعالى: **أَفْمِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لِسْمِنَ خَلْقٍ جَدِيدٍ**،¹ إشارة إلى النشأة الثانية.² ويطلق الجديد على ما يقابل البالي الخلق، وعلى كل شيء لم تأت عليه الأيام، ولذلك سمي الليل والنهار الجديدين، والأجددين؛ لأن كل واحد منهما إذا جاء فهو جديد.³

الفرع الثاني: مفهوم البيعة.

البيعة على وزن فعلة، اسم للمرة من باع يبيع بيعاً، والبيع في اللغة معروف، وهو: إعطاء المثلث وأخذ المثلث، ويقابله الشراء، وهو: إعطاء المثلث وأخذ المثلث، ويقال للبيع: الشراء،

¹ - سورة ق: الآية: 15.

² - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المكتبة التوفيقية، راجعه وقدم له: وائل أحمد عبد الرحمن، د. ت: مادة: ج د د.

³ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر، 1399هـ/1979م، مادة: ج د د.

كما يقال للشراء: البيع أيضاً، فهما من الأضداد. والمراد بالبيعة هنا: البيعة الشرعية، ومعناها: إعطاء العهد للخليفة، على الطاعة. يقول الراغب: "وبايع السلطان: إذا تضمن بذل الطاعة لما به رضخ له، ويقال لذلك بيعة، ومبايعة".¹

ويقول ابن خلدون: "اعلم أن البيعة هي: العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده، جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة... وصارت البيعة مصافحة بالأيدي، هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع، وهو المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة، وحيثما ورد هذا اللفظ".²

الفرع الثالث: معنى "تجديد البيعة". المراد بتجديد البيعة هنا: إعادة بيعة أمير المؤمنين الملك محمد السادس نصره الله تعالى وأيده، تأكيداً للبيعة الأولى التي تمت له مساء يوم الجمعة التاسع من ربيع الثاني، عام عشرين وأربعمائة هجرية، الموافق لثلاث وعشرين من شهر يوليوز عام تسع وتسعين وتسعمائة وألف ميلادية، عقب وفاة والده الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، وقد وقع على هذه البيعة: كل من الأمراء، والوزراء، والعلماء، وكبار رجال الدولة، من مدنيين وعسكريين، وسياسيين.

ويتم تجديد هذه البيعة بتقديم فروض الطاعة والولاء لأمير المؤمنين من قبل ممثلي الشعب المغربي، الذين يأتون من جميع جهات المملكة المغربية كل سنة، حيث يجتمعون في أحد القصور الملكية، بمناسبة الاحتفال بعيد العرش العلوي المجيد عيد تربع جلالة الملك محمد السادس نصره الله على عرش أسلافه المنعمين، في حفل يترأسه أمير المؤمنين يسمى حفل الولاء.

وتجديد هذه البيعة هو تأكيد لوجود الإمام، الذي انعقد الإجماع على وجوب تنصيبه، وتوثيق للعهد الذي بينه وبين الرعية، يقول ابن خلدون: "ثم إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته، بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل

¹ - المفردات في غريب القرآن، مادة: ب ي ع.

² - عبد الرحمن بن خلدون، (ت808هـ)، تاريخ ابن خلدون، المسمى: ديوان المبتدأ والخبر، في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، تحقيق خليل شحادة، 1431هـ/2001م، 261/01.

عصر من بعد ذلك، ولم تترك الناس فوضى في عصر من الأعصار، واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام.¹

المطلب الثاني: مفهوم "شعائر الدين".

مصطلح شعائر الدين مركب كذلك تركيباً إضافياً من كلمتين، لابد من بيان معناهما أولاً، قبل بيان معنى المركب.

الفرع الأول: مفهوم "شعائر".

شعائر جمع شعيرة، وتطلق على البدنة المهداة، وعلى مناسك الحج والعمرة، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمِنْ يُعْظَمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْبَاقِيَ إِلَّا مَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾² يقول الإمام القرطبي: "الشعائر جمع شعيرة، وهي كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم، ومنه: شعار القوم في الحرب؛ أي: علامتهم التي يتعارفون بها، ومنه: إشعار البدنة، وهو: الطعن في جانبها الأيمن حتى يسيل الدم، فيكون علامة، فهي تسمى شعيرة، بمعنى المشعورة".³

وقال ابن فارس: "الشين والعين والراء أصلان معروفان، يدل أحدهما على ثبات، والآخر على علم وعلم"،⁴ والمناسب هنا الأصل الثاني، وهو الذي قال فيه: "والباب الآخر: الشعار الذي يتأدى به القوم في الحرب ليعرف بعضهم بعضاً، والأصل قولهم: شعرت بالشيء إذا علمت وفطنت له، وليت شعري، أي: ليتني علمت... وسمى الشاعر؛ لأنه يفطن لما لا يفطن له غيره... ومشاعر الحج: مواضع المناسك، سميت بذلك؛ لأنها معالم الحج، والشعيرة واحدة الشعائر، وهي: أعلام الحج، وأعماله... ويقال الشعيرة أيضاً: البدنة تهدي، ويقال إشعارها: أن يجز أصل سنمها حتى يسيل الدم، فيعلم أنها هدي".⁵

¹ - تاريخ ابن خلدون: 239/01 - 240.

² - سورة الحج، الآية: 30.

³ - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، خرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ عرفات العشا، دار الفكر، 1415 هـ/1995م، 53/12.

⁴ - معجم مقاييس اللغة، مادة: ش ع ر.

⁵ - معجم مقاييس اللغة، مادة: ش ع ر.

وقال الراغب: "ومشاعر الحج: معالمه الظاهرة للحواس، والواحد مشعر، ويقال: شعائر الحج، الواحد شعيرة".¹

وقال في الصحاح: "والشعائر: أعمال الحج، وكل ما جعل علماً لطاعة الله تعالى... والمشاعر: مواضع المناسك".²

الفرع الثاني: معنى الدين.

يطلق الدين في اللغة على أكثر من معنى، فهو يطلق على الطاعة، وعلى الجزاء،³ وعلى الحساب، ومنه قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾،⁴ أي: يوم الحساب. ومنه كذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت..."،⁵ أي: حاسبها. والمراد به هنا: ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، من قبل الله عز وجل وأمر بتبليغه، وقد عرف بتعريف عام، وهو قولهم: "الدين هو وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل".⁶ وهو بهذا التعريف يشمل ما به يكون صلاح الدنيا والآخرة، من الأقوال والأفعال والاعتقادات، ويدخل فيه ما ورد في حديث جبريل المشهور، من أركان الإسلام الخمسة، وهي: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وأركان الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره حلوه ومره، والإحسان، فقد سأل جبريل عليه السلام عن هذه الثلاثة: أعني الإسلام، والإيمان، والإحسان، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وجاء في آخر هذا الحديث، قوله صلى الله عليه وسلم: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".⁷

¹ . المفردات في غريب القرآن، مادة: ش ع ر.

² . أبو ناصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت398هـ)، الصحاح، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ/2009م، مادة: ش ع ر.

³ . المفردات في غريب القرآن: مادة: د ي ن.

⁴ . سورة الفاتحة، الآية: 03.

⁵ . سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، والرقائق والورع، باب: 25، رقم: 2459. محمد بن عيسى بن سورة، الترمذي، (ت279هـ).

⁶ . محمد علي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط الأولى: 1996م، 814.

⁷ . صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم: 01. أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت261هـ).

ذ. إدريس يعكوبي

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في بيان معنى الدين في قوله تعالى: ﴿فأهص السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذوقكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾¹ ، يقول: "وهو - أي: الدين - توحيد الله، وطاعته، والإيمان برسله، وكتبه، وبيوم الجزاء، وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً".²

الفرع الثالث: مفهوم "شعائر الدين".

المراد بشعائر الدين هنا: ما ظهر من العبادات الدينية، يقول الإمام القرطبي: "فشعائر الله: أعلام دينه، لا سيما ما يتعلق بالمناسك".³ ومن أهم شعائر الدين الظاهرة المعلنة: 1. الأذان.

يعد الأذان من الشعائر الدينية الظاهرة المعلنة المهمة، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزواته إذا دخل قرية بليل، ينتظر وقت الأذان، فإذا سمع الأذان علم أن القوم مسلمون فلا يغير عليهم، وإذا لم يسمعه علم أنهم غير مسلمين فيغير عليهم. فقد روى الإمام البخاري في صحيحه، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا قوماً، لم يكن يغير بنا حتى يصبح، وينظر، فإذا سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم".⁴ قال ابن حجر في الفتح نقلاً عن الخطابي: "فيه - أي: في هذا الحديث - أن الأذان شعار الإسلام، وأنه لا يجوز تركه، ولو أن أهل بلد اجتمعوا على تركه، كان للسلطان قتالهم عليه".⁵

ويقول ولي الله الدهلوي: "وفضائل الأذان ترجع إلى أنه من شعائر الإسلام، وبه تصير الدار دار الإسلام، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان أمسك، وإلا أغار".⁶

¹ - سورة الشورى، الآية: 11.

² - الجامع لأحكام القرآن: 11/09.

³ - نفسه: 53/12.

⁴ - صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب ما يحقن بالأذان من الدماء، رقم: 610. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (ت256هـ).

⁵ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط الأولى، 1410هـ/1989م، 115/02.

⁶ - الإمام الكبير الشيخ أحمد المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي، حجة الله البالغة، دار الجيل، تحقيق ومراجعة: السيد سابق، ط الأولى، 1426هـ/2005م، 223/01.

ويقول ابن الحاج: "وينبغي له - أي: للمسافر - أن لا يترك الأذان في السفر؛ لأنه شعيرة من شعائر الدين فإما أن يؤذن بنفسه، وإما أن يأمر غيره بذلك حتى تظهر شعيرة الإسلام، وتبقى قائمة بينهم وفيهم".¹

2. الصلوات الجامعة.

من أهم الشعائر الظاهرة كذلك؛ إقامة الصلاة جماعة، وسواء أكانت هذه الجماعة واجبة كما في صلاة الجمعة، أو كانت غير واجبة كما في الصلوات الخمس، وسواء أكانت الصلاة في حد ذاتها واجبة كالجمعة، أو كانت غير واجبة، كصلاة العيدين، والاستسقاء، والكسوف، والخسوف، والتراويح وغير ذلك. قال في المدخل: "فالمحافظة على الصلوات في المساجد في جماعة من أعظم شعائر الدين ومهماته".²

وقال ولي الله الدهلوي: "الجماعة سنة مؤكدة، تقام اللائمة على تركها؛ لأنها من شعائر الدين".³

3. الحج.

الحج هو أحد أركان الإسلام الخمسة، وهو من الشعائر الدينية الكبرى، تدخل فيه جملة من الشعائر الفرعية، كالطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، والهدي وغير ذلك، وفي سياقه جاء قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمِنْ يُعْطَمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.⁴ وتسمى الأماكن التي تؤدي فيها أعمال الحج بالمشاعر، ومن ذلك: المشعر الحرام، المذكور في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّجُوا فَرِحَ خَيْرٌ مِنَ الزَّكَاةِ وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.⁵ والمراد به هنا: المكان المسمى بالمزدلفة، ويسمى جمعا أيضا. يقول الإمام القرطبي وهو يفسر هذه الآية: "أي: اذكروه بالدعاء والتلبية عند المشعر الحرام، ويسمى جمعا؛ لأنه يجمع ثم

¹ - أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي، الفاسي المعروف بابن الحاج (ت737هـ)، المدخل، مكتبة دار التراث، د ت، 52/04.

² - المدخل: 100/02.

³ - حجة الله البالغة: 40/02.

⁴ - سورة الحج، الآية: 30.

⁵ - سورة البقرة، الآية: 197.

المغرب والعشاء؛ قاله قتادة، وقيل: لاجتماع آدم فيه مع حواء، وازدلف إليها، أي: دنا منها، وبه سميت المزدلفة... وسمي مشعرا من الشعار وهو العلامة؛ لأنه معلم للحج، والصلاة والمبيت فيه، والدعاء عنده من شعائر الحج، ووصف بالحرام لحرمة¹.

المبحث الثاني: إقامة شعائر الدين وإمارة المؤمنين المطلب الأول: وجوب المحافظة على إقامة شعائر الدين.

الدين هو أحد المقاصد الشرعية، والكلليات الضروريات الخمسة التي تجب المحافظة عليها؛ وهي: بالإضافة إلى الدين: النفس، والنسل، والمال، والعقل، ومعنى كونها ضرورية؛ أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: "فأما الضرورية فمعناها: أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد، وتهارج، وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين... ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل"².

ومن أهم ما يجب حفظه من الدين: شعائره الظاهرة التي تعد شعارا للمسلمين، كرفع الأذان، وأداء الصلاة جماعة في المساجد والمصليات، وتتظيم الحج، وإحياء المناسبات الدينية، وغير ذلك.

المطلب الثاني: إقامة شعائر الدين من وظيفة إمارة المؤمنين.

إذا كان حفظ الدين وإقامة شعائره واجبا، فإن من الأسباب المعينة على ذلك: وجود خليفة بين المسلمين، وخليفتهما بالنسبة لنا نحن المغاربة، هو: أمير المؤمنين محمد السادس نصره الله تعالى وأيده، وينص الدستور المغربي في الفصل الواحد والأربعين على أن "الملك أمير المؤمنين، وحامي حمى الملة والدين، والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية".

ولذلك نجد علماءنا رحمهم الله تعالى جعلوا من مهام الخليفة ووظائفه: حراسة الدين، وحماية بيضة المسلمين. يقول ابن خلدون: "والخلافة هي: حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية، والدينية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند

¹ - الجامع لأحكام القرآن: 390/02.

² - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي، ت790هـ، الموافقات في أصول الشريعة، المكتبة العصرية، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، ط الأولى، 1421هـ/2000م، 7/02 - 8.

الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين، وسياسة الدنيا به...¹

ويقول كذلك: "وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب، وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة، والقائم به خليفة وإماما، فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة في اتباعه والافتداء به، ولهذا يقال: الإمامة الكبرى، وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته".²

ويقول الماوردي رحمه الله تعالى: "والذي يلزمه - أي: الخليفة - من الأمور العامة عشرة أشياء:

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم³ مبتدع، أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروسا من خلل، والأمة ممنوعة من زلل.

الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة، فلا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم.

الثالث: حماية البيضة والذب عن الحريم؛ ليتصرف الناس في المعاش، وينتثروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال.

والرابع: إقامة الحدود؛ لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك.

والخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرما، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دما.

والسادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم، أو يدخل في الذمة؛ ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله.

والسابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصا واجتهادا من غير خوف ولا

عسف.

¹ - تاريخ ابن خلدون: 239/01.

² - نفسه.

³ - أي: ظهر، وطلع، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت817هـ)، القاموس المحيط، دار الفكر، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، 1415هـ/1995م، باب الميم، فصل النون.

والثامن: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال، من غير سرف ولا تقتير، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

التاسع: استكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء، فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال؛ لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة.

العاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال؛ لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾،¹ فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة ولا عذره في الاتباع حتى وصفه بالضلال، وهذا وإن كان مستحقاً عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة، فهو من حقوق السياسة لكل مسترع...²

ويقول صاحب التراتيب الإدارية الكتاني رحمه الله تعالى: "الخلافة هي الرئاسة العظمى، والولاية العامة الجامعة، القائمة بحراسة الدين والدنيا، والقائم بها يسمى الخليفة؛ لأنه خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإمام؛ لأن الإمامة والخطبة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين لازمة له، لا يقوم بها غيره إلا بطريقة النيابة عنه، كالقضاء والحكومة، ويسمى أيضاً: أمير المؤمنين، وهو الوالي الأعظم، لا والي فوقه، ولا يشاركه في مقامه غيره."³

وأمير المؤمنين بصفته خليفة هو الحارس للدين، ووجوده ضماناً لحماية الدين عامة، وإقامة شعائره خاصة، والمراد بشعائره كما تقدم: أفعاله الظاهرة التي يجب أو يستحب إظهارها، وذلك كالصلاة، والأذان، وغيرهما، مما هو داخل في الوظائف الدينية.

يقول الزحيلي وهو يتحدث عن هذه الوظائف الدينية: "رابعاً: القيام على شعائر الدين من أذان، وإقامة صلاة الجمعة، والجماعة، والأعياد، وصيام، وحج، فبالنسبة للصلاة يعين الخليفة الإمام، والمؤذن، ويصون المساجد ويرعاها، ويؤم الناس في الصلاة الجامعة إذا حضر،

¹ - سورة ص، الآية: 26.

² - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، (ت450هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، ط الأولى، 1409هـ/1989م، 22- 23.

³ - محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي الكتاني، العلامة المحدث، (ت1382هـ) نظام الحكومة النبوية، المسمى: التراتيب الإدارية، دار الكتب العلمية، تحقيق علي محمد دنل، ط 1، 1422هـ/2001م، 89.

ذ. إدريس يعكوبي

ويشرف على توقيت الصيام بدءاً ونهاية، ويعاقب من يعلن الإفطار دون عذر مقبول، وييسر أداء فريضة الحج بتعيين ولاية للسهر على أداء هذا الواجب، والولاية على الحج لتسيير الحجيج وإقامتهم".¹

المطلب الثالث : مظاهر عناية أمير المؤمنين بإقامة شعائر الدين.

إذا كانت شعائر الدين تؤدي في بلدنا والحمد لله في أمن وطمأنينة وسلام، فإن الفضل في ذلك يرجع بعد الله سبحانه وتعالى إلى وجود إمارة المؤمنين، في هذا البلد الأمين، وإن من أهم مظاهر عناية إمارة المؤمنين بإقامة شعائر الدين:

1- الرئاسة الفعلية للمجلس العلمي الأعلى. يترأس أمير المؤمنين أهم مؤسسة دينية تعنى بالشأن الديني، وهي مؤسسة: المجلس العلمي الأعلى، الذي نص الدستور المغربي على أن أمير المؤمنين هو الذي يرأسه، فقد جاء فيه في الفصل الواحد والأربعين: "يرأس الملك، أمير المؤمنين، المجلس العلمي الأعلى، الذي يتولى دراسة القضايا التي يعرضها عليه".

2- تعيين مجالس علمية محلية بكل إقليم. يوجد بكل إقليم مجلس علمي محلي، به رؤساء وأعضاء يعينهم أمير المؤمنين، ومن مهامهم تأطير المواطنين والمواطنات، كما جاء ذلك في الكلمة السامية التي ألقاها أمير المؤمنين بتطوان، بتاريخ: (15 دجنبر 2000م)، خلال تنصيب المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية: "إننا نريد من مجالسنا العلمية، أن تكون مجالا رحبا يتيح للعلماء أن يؤدوا رسالتهم الدينية، والوطنية، بدءا بتأطير المواطنين والمواطنات، أينما كانوا لتحسين عقيدتهم، وحماية فكرهم، وإنارة عقولهم وقلوبهم، بما يجعلهم مؤمنين ملتزمين بدينهم ومقدساتهم غير مهتدين بتيارات التشويه والتحريف".

3- العناية بالمساجد. المساجد هي بيوت الله تعالى، وفيها تؤدي أعظم الشعائر الدينية، وقد نص كتاب دليل الإمام والخطيب والواعظ على جملة من هذه الوظائف، حيث جاء فيه: "المسجد بيت الله، تقام فيه شعائر الدين، وهو رمز وحدة الأمة المغربية، وعناصر هذه الوحدة هي:

- العقيدة الأشعرية؛

- المذهب المالكي؛

¹ - الدكتور وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، ط الثانية، 1405هـ/1985م، 700/06.

. طلب الكمال السلوكي والروحي، ولا سيما بطريقة التصوف السني، كما أرسى قواعدها شيوخ المغاربة؛

. مقتضيات البيعة لإمارة المؤمنين؛

. اختيارات الأمة في السياسة وغيرها من المجالات؛

. الأعراف المغربية الجاري بها العمل في جميع مساجد المملكة.

وفي دائرة احترام هذه المبادئ يقوم المسجد بأداء الوظائف التالية:

. الوظيفة التعبدية، كمكان للعبادة؛

. الوظيفة الدينية التوجيهية؛

. الوظيفة العلمية والثقافية؛

. الوظيفة الاجتماعية¹.

رابعا: العناية بالقيمين الدينيين. ينص الظهير الشريف رقم: 1.14.104 الصادر في عشرين من رجب 1435هـ الموافق 20 ماي 2014م، في شأن تنظيم مهام القيمين الدينيين، وتحديد وضعياتهم، على أن القيمين الدينيين يعملون تحت الرعاية السامية لأمر المؤمنين، فهو الراعي لشؤونهم، والضامن لحقوقهم. فقد جاء في المادة الأولى من الباب الأول قوله: "يوضع القيمون الدينيون المزاوون مهامهم بسائر الأماكن المخصصة لإقامة شعائر الدين الإسلامي، والخاضعون لأحكام هذا الظهير الشريف، تحت الرعاية السامية لجلالته باعتبارنا أمير المؤمنين، الراعي لشؤونهم، والضامن لحقوقهم"².

ولهذه العناية تجليات ومظاهر، منها:

1 - إحداث: "مؤسسة محمد السادس للنهوض بالأعمال الاجتماعية للقيمين الدينيين" التي تقدم

خدمات جليلة للقيمين الدينيين.

2 - إحداث: "معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات".

¹ - منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1427هـ/2006م، دليل الإمام والخطيب والواعظ: 164 - 165.

² - نشر بالجريدة الرسمية عدد: 6268، ليوم: 26 يونيو 2014م.

3. إحداث جوائز تشجيعية وتكريمة. هناك جوائز كثيرة، تعنى بأهل القرآن عامة، والقيّمون الدينيون جلهم من أهل القرآن، فقد تكون هذه الجوائز من نصيبهم، وهناك جوائز أخرى تعنى بالقيّمين الدينيين خاصة، ومن هذه الجوائز إجمالاً:
- "جائزة محمد السادس للأذان والتهليل".
 - "جائزة محمد السادس لأهل القرآن".
 - "جائزة محمد السادس الوطنية في حفظ القرآن الكريم وترتيله وتجويده".
 - "جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية".
 - "جائزة المجلس العلمي الأعلى للخطبة المنبرية".

خلاصة مما تقدم يمكن القول: أن إقامة شعائر الدين من أهم شعار المسلمين، ولا يمكن إقامتها وإظهارها إلا في جو يسوده الأمن والهدوء والاطمئنان، وقد من الله سبحانه وتعالى على الأمة المغربية بأمن ينعمون فيه بعبادة ربهم، وإقامة شعائر دينهم، ويرجع الفضل في هذا بعد الله سبحانه وتعالى إلى بيعتهم وتجديدها لأمر المؤمنين حامي الملة والدين، جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، الذي يولي عناية خاصة للشأن الديني عامة، ولإقامة شعائر الدين خاصة، ويتجلى ذلك في عنايته بإمكانة إقامة شعائر الدين، وبالقائمين عليها والعاملين فيها.

عيد العرش المجيد: السياق والمقاصد

ذ. مولاي هاشم طاهيري

عضو المجلس العلمي

المحلي لإقليم تاونات.

يعتبر عيد العرش المجيد في مملكتنا العزيزة، مناسبة وطنية، وأحد الأعياد الوطنية الغالية المجيدة، التي يتم الاحتفال بها في كل الثلاثين من شهر يونيو. وقد سمي بهذا الاسم لأنه في هذا التاريخ تربع أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس - حفظه الله على عرش أسلافه المنعمين. وبايعه الناس البيعة الرسمية في عام 1999 ميلادية. وأعلنوه بذلك ملكا رسميا للدولة المغربية خلفا لوالده المرحوم جلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراه.

وقد كان هذا العيد يحتفل به من قبل في عام 1955 ميلادية كثلاثة أعياد هي: عيد عودة المغفور له جلالة الملك محمد الخامس - قدس الله روحه - من المنفى. ويكون هذا في السادس عشر من شهر نونبر. وعيد الانبعاث ويكون في السابع عشر من نفس الشهر. وعيد العرش ويكون في الثامن عشر من نفس الشهر كذلك. لكن منذ 1934 ميلادية، وهي الذكرى السابعة لجلوس المغفور له محمد بن يوسف على العرش، أصبح الاحتفال بعيد العرش المجيد يكتسي صبغة رسمية، حيث صدر قرار وزاري أصدره محمد المقرري بتاريخ 16 رجب 1353هـ الموافق لـ 26 أكتوبر 1934 ميلادية، بعد أن أشر عليه المقيم العام الفرنسي (هنري بونسوت). وكان هذا القرار الوزاري الذي نشر بالجريدة الرسمية مؤلفا من عدة بنود، أهمها أن يقوم باشا كل مدينة من المدن المغربية بتنظيم الأفراح والحفلات الموسيقية وتزيين المدن وتوزيع الألبسة والأطعمة على نزلاء الجمعيات الخيرية، وأن يكون يوم عيد العرش المجيد هو يوم 18 نونبر من كل سنة ويوم عطلة. وفي هذا العيد - من 18 نونبر 1952م - ألقى المرحوم محمد بن يوسف - قدس الله روحه - خطابا ساميا بالقصر الملكي بالرباط اعتبره الوطنيون الغيورون على بلادهم شرارة اندلاع ثورة الملك والشعب لما تضمنه هذا الخطاب السامي من دلالات وعبر ومقاصد جلية هي في حاجة إلى من يتولى تحليلها تحليلا مستفيضا واستخراج معانيها ودلالاتها ومقاصدها الدينية والوطنية لتصبح كتابا مستقلا يؤرخ لحقبة هامة جدا من حقب التاريخ للمغرب الحديث.

ذ. مولاي هاشم طاهيري

أما بعدها فقد تم تقرير يوم الإثنين من يونيو يوما رسميا للاحتفال بهذه الذكرى الغالية المفخرة لكل المغاربة. ويفتح هذا الاحتفال الرائع - مظهرها ومخبرها - بخروج أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس - حفظه الله ونصره - من باب القصر الملكي ممتطيا الحصان الملكي الأصيل، ومظللا بمظلة كبيرة ذات لون أحمر قان ويتولى حملها بعض خدام الأعتاب الشريفة من الذين يتبعون خطوات الحصان في تلميع وتجسيد لطقوس، تحمل العقول والأذهان إلى استحضار بيعة الرضوان للرسول صلى الله عليه وسلم من طرف الصحابة الكرام تحت الشجرة... وذلك في جو من الأهازيج الشعبية تدعوا لجلالة الملك بالسؤدد وطول العمر. فيما يلوح جلالته - حفظه الله وأعز أمره - بيديه الشريفتين إلى الحضور المصفوف الملتف حوله على جنبات ساحة المشور السعيد من مسؤولين حكوميين وشخصيات مغربية وأجنبية... تكون صفوف المبايعين المرتدين للزي المغربي الأصيل ذي اللون الأبيض الفاقع رمز الصفاء والمحبة والوئام والسلام والأمان... بين الشعب وقائده الملهم قد رست واكتملت لتأدية طقوس الولاء والبيعة لأمر المؤمنين - حفظه الله - وسط عبارات التبجيل والتقدير المعتادتين في كل المناسبات الدينية والوطنية من مثل: (الله يبارك في عمر سيدي). فيشق أمير المؤمنين - حفظه الله - صفوف وفود جهات المملكة الشريفة جهة تلو الجهة، وواحدة تلو الآخر، وهم يرددون عبارات البيعة والولاء والطاعة في جو احتفالي بهيج ومهيّب يتسم بإطلاق المدفعية لعدد من الطلقات، وترنيمات موسيقية عسكرية مخزنية، احتفاء بحضور جلالة الملك وبالمناسبة الوطنية الغالية التي هي عيد العرش المجيد.

وخلال هذا الحفل وهذه المناسبة السعيدة يتفضل أمير المؤمنين - حفظه الله - بتوشيح صدور العديد من الشخصيات الوطنية والأجنبية بأوسمة ملكية مختلفة المراتب والدرجات والاستحقاقات تقديرا واعترافا من جلالته لجهودهم التي بذلوها لخدمة الوطن والمواطنين ومدى حبهم لهذا الوطن العزيز الغالي ولملكهم الساهر على أمنهم واستقرارهم.

كما يتفضل جلالته بدعوة كبار الدولة من السفراء المعتمدين والوزراء لجلالته والضيوف الأجانب من مختلف بلدان العالم. من عالم السياسة والثقافة والاقتصاد... إلى حفل عشاء أو مأدبة إفطار إذا صادفت المناسبة شهر رمضان المبارك.

ثم في اليوم الذي يليه - أي في اليوم 31 من شهر يونيو - يقوم أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس - حفظه الله - بإلقاء خطابه السامي بصفته ملكا للدولة وبصفته كذلك القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية، يستعرض فيه جلالته

ذ. مولاي هاشم طاهيري

أهم المنجزات السابقة والمقاصد الاستشرافية للمستقبل ذات النفع العميم على مختلف الأصعدة.

ثم يؤدي الضباط الخريجون القسم أمام جنابه الشريف، باعتبار جلالته القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية. ثم يتولى الأمير الجليل مولاي رشيد رئاسة مأدبة عشاء احتفاء واحتفالاً بهؤلاء الضباط المتخرجين، بعد ما يطلق على فوجهم جلالة الملك - نصره الله - اسماً من الأسماء الدالة على معان ورموز.

وهكذا يسعد المغاربة كلهم سواء داخل الوطن أو خارجه بهذا اليوم السعيد والعيد المجيد، الذي تتجدد فيه أواصر البيعة الشرعية والولاء والطاعة وصلة الرحم بين الشعب الوفي الأبوي وبين جلالة ملكه المفدى أدام الله عزه ونصره.

ب - المقاصد

لقد ثبت في التاريخ أن لكل أمة ولكل دولة ذكريات وأحداث وأمجاد ومناسبات تقديسها وتمجدها وتفرح لقرب حلولها وتستعد بكل جديد لها للاحتفال بها...، والمقصد الأصلي في إحياء هذه الذكريات والمناسبات... هو استحضار ما ترمز إليه من مقاصد ودلالات عميقة قد يفهمها الناس وقد لا يفهمها البعض. ولكنها حاضرة وبقوة بحمولتها المقاصدية. وهذه هي وظيفة قراءة التاريخ؛ لأن ذلك يعتبر وسيلة ربط الأمم والشعوب بماضيها وتذكيرها بأمجادها ومفاخرها، وإبراثها الثقافى والحضاري والسياسي... كي تفهم الأشياء على حقيقتها وتعصم نفسها من الانحراف والزيغ والشطط عن الطريق السوي، ومن أجل أن لا تعود إلى الوراء السلبي الذي سجله التاريخ. وإلى هذا يشير القرآن الكريم الحكيم في قوله عز من قائل: (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ...).¹

وفي هذه الآية يقول المفسر المقاصدي العلامة الشيخ الطاهر ابن عاشور في تحريره: (وذكرهم بأيام الله... أي بأياديه ونعمه عليهم في إخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه وإنجائه إياهم من عدوهم وفلقه لهم البحر وتضليله إياهم بالغمام وإنزاله عليهم المن والسلوى...).²

¹ - سورة إبراهيم، الآية 6.

² - التحرير والتوير، ج 13 ص 190، ط الدار التونسية للنشر، (بتصرف).

والتاريخ يعيد نفسه إذا ما قارنا أيام الله تلك مع أيام الله في عهد الاستعمار والاحتلال لبلدنا حيث النهب والسلب والاستنزاف لخيراتہ والعثو في أرضه بالفساد... وكذلك في زمن سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام مع فرعون... وأما في زمننا هذا فينبغي التذكير - من باب أولى وأحرى - بالأحداث التي عرفتھا بلادنا العزيزة من التضحيات الجسام التي استبسل فيها أسلافنا المجاهدين المناضلين - قدس الله أرواحهم - ضد الاستعمار الفاشم الجاثم على أرضنا... ثم التذكير بنعم الله عليهم وعلينا الآن في ظل القيادة الرشيدة والحكيمة لأمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله؛ لأن ذلك أبلغ وأقرب إلى تحقيق المقاصد المتوخاة من كل احتفال بمناسبة من المناسبات الوطنية كالاحتفال بعيد العرش المجيد، أو الدينية كحدث بيعة الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بيعة الرضوان تحت الشجرة وما خلفه من نصرة للإسلام وإخماد لنار الفتنة والهرج، وما تركه من ارتياح وأمن وسلام في نفوس المبايعين وذويهم.

كما أنه أبلغ في العبرة والاتعاظ لكل من يستوقفه تخليد حدث من أحداث أيام الله: كحدث أيام الله وقت الاستعمار والاحتلال، ثم أحداث أيام الله في ظل الحرية والأمن والاستقرار. ولا يتجدد هذا الأمر في النفوس أبدا، ما لم يكن بتجديد هذه الذكريات والمناسبات المجيدة متى حل تاريخها.

ولنا في الرعيل الأول من خيرة الخلق المبايعين - رضوان الله عليهم - أسوة حسنة في هذه الاحتفالات، حيث كانوا يحتفلون بالأيام الوطنية، كذكرى حدث الهجرة وحدث ذكرى بدر وحدث ذكرى القادسية، وهكذا... بعد مرور الصدر الأول من الإسلام وما زالوا كذلك. بل إن الذين شاركوا في غزوة بدر أعطوا وساما وطنيا: هو وسام الدفاع عن حوزة الإسلام من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وقد هم بضرب رأس حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه - بعد ما ثبت غشه ونفاقه...¹ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: إنه شهد بدرا، وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.²

وإذا ما استقرينا بإمعان وبتأمل وتدبر الاحتفال بعيد العرش العلوي المجيد، سنقف على كثير من المقاصد التي يعبر عنها هذا الحدث الاحتفالي. لا تستوفي هذه العجالة حقها وتعدادها، لكننا نذكر بعض ما يسر الله ذكره، وبالله التوفيق:

¹ - تنظر قصته في كتب السيرة والتراجم.

² - انظر صحيح البخاري، ج 3 ص 1095، رقم الحديث 2845، باب الجاسوس. وانظر كذلك مجمع الزوائد، لابن حجر الهيتمي، باب فضل حاطب بن أبي بلتعة، ج 9 ص 303، ط دار الريان للتراث.

(1) مقصد استمرارية البيعة الشرعية لأمير المؤمنين:

لا شك أن البيعة في الشرع - كما هو معروف - هي عهد وعقد وميثاق وتولية مع الطاعة والتسليم والاستجابة للإمام أو الملك أو أمير المؤمنين، الذي أعطيت له هذه البيعة وسلم له هذا العهد من طرف المعاهدين من أفراد الأمة أو الشعب كلهم. ومعنى هذا أن البيعة مصدر سلطة الملك ومنبع سيادته وأصل تحكمه ونفوذه وبسط رعايته وحمايته ونشر عدله في ربوع وطن الذين أعطوه البيعة، حتى لو اقتضى الأمر طول أمد هذه البيعة قرونا كثيرة؛ لأن المؤمنين يومئذ بايعوا الرسول بيعة الرضوان مبايعة مستمرة بمقتضى مقصد الشرع في جعلها رمزا للأمن واستقرار الأمم والشعوب بفضل المبايعة. فلزم ذلك كل المؤمنين الذين جاؤوا من بعدهم إلى يوم الناس هذا وإلى قيام الساعة - بإذن الله تعالى - وذلك تحقيقا لمقصدي تنفيذ أمر الله تبارك وتعالى من جهة، واهتداء واقتداء بالسلف الصالح من خيرة الأمم من جهة ثانية. فما دام أن البيعة هي شريعة الله تعالى وبيعته - وهو شاهد عليها - لقوله تعالى: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما).¹ فهي خطاب لكل مؤمن يؤمن بهذا القرآن في كل عصر ومصر.

ولذلك نرى الآية الكريمة عبرت عن البيعة بصيغة المضارعة التي تفيد الثبوت والدوام والاستمرار لبيان هذا المقصد. وعليه فاستمراريتها بالنسبة للموكلنا الشرفاء الأجلاء في بلدنا العزيز قائمة على أساس النص الشرعي، ومستمرة منذ البداية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. تتجدد بتجدد حلول الثلاثين من شهر يوليوز من كل سنة. مهما غاب فهم هذا الأمر عن أذهان البعض أو ربما تجاهله، حتى زعم ما لا يزعمه - في الحقيقة - إلا الجاهل بالشرع الحكيم وبالتاريخ، أو المغفل عن مجريات الأحداث، أو مخادع مغرور مضل مبین من أطراف عدائية لا تهوى إلا العيش في المياه العكرة.

(2) مقصد بيان استمرار الوفاء بعهد البيعة من طرف أمير المؤمنين تجاه الرعية:

لا شك أن الحضور الفعلي بكل مراسمه وتجلياته وطقوسه ومقاصده... في ساحة المشوار السعيد لأمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس - أيده الله - وقبله أبوه وجده المنعمين قدس الله روحهما، لدليل عملي قاطع على التعبير على الوفاء بعهد البيعة التي بايعه عليه شعبه الوفي الأبى.

¹ - سورة الفتح، الآية 10.

د. مولاي هاشم طاهيري

وفي هذا المجال - مجال وفاء الملوك العلويين بعهد البيعة ولواجباتها - أشاد العديد من الباحثين والكتاب في موضوعات صحفية كثيرة ومتنوعة. بالإضافة إلى ما يرد في افتتاحيات مجلة دعوة الحق. وكذا ما يعلن عنه جلالته دائما في كل المناسبات من خلال خطابه السامية وما فيها من توجيهات نيرة مطاعة.

وكل هذا يجعلنا نطمئن ونشكر الله تعالى العليم الخبير أن قيض لهذه الأمة المغربية من تجدد معه بيعتها ويتولى تدبير أمرها ويصلح شأنها الديني والدنيوي في شخص ملكها الهمام الصالح المصلح أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس - أطال الله عمره - الذي ما فتئ يواصل باستمرار وبلا هوادة في كل ربوع المملكة الشريفة كل مجهوداته المباركة المظفرة من المبادرات الوطنية للتنمية البشرية ومن المشاريع التنموية والاجتماعية... قصد إظهار الوفاء بعهد البيعة والأمانة المنوطة به بموجبها، وخاصة تلك التي تتعلق برعية رعاياه الأوفياء في أقاليمنا الجنوبية.

(3) مقصد الاستيثاق من تمسك الشعب المغربي بأهداب العرش العلوي المجيد:

إن أمر البيعة للملوك بالمغرب يمتاز بنظام دقيق ومراسم منتظمة متبعة، بحيث تعقد البيعة لجلالة الملك من طرف الشعب. فيبایعه أولا أعضاء الأسرة العلوية الشريفة، ثم السادة العلماء والأمراء والرؤساء والأخيار. ثم تقبل الوفود الممثلة لكل جهات المملكة وقبائلها من كل أطراف شرقها وغربها وشمالها وجنوبها. وذلك في محفل مهيب ونظام دقيق ومظهر أنيق ذي مقصد عميق. يجري اليوم ونراه كل سنة في الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية، كعيد الأضحى المبارك وعيد العرش المجيد. ولهذا نجد جلالة الملك محمد السادس - حفظه الله - حريصا على استمرار ما كان عليه أسلافه المنعمين من إقامة هذه الاحتفالات الدينية والوطنية في كل مناسبة. وهكذا تتضح الصورة المثلى في بيان الاستيثاق من قوة تمسك الشعب المغربي بأهداب عرش ملكه المجيد. وعلى مدى استعداده التام للسير قدما وراء جلالته في كل ما يخطط من مشاريع تنموية ومصلحية للدين والوطن؛ لأنه - حفظه الله - بمقتضى عهد البيعة التي انعقدت بينه وبين شعبه الوفي، أصبح مسؤولا عن حماية الدين والوطن من كل عدو داخلي أو خارجي. وعن إسعاد المواطنين - كما هو دأبه أعزه الله - كما أن الشعب المغربي - في المقابل - مطالب ومأمور بتقديم كل ما يلزم من فروض الطاعة والولاء والمساندة الحسية والمعنوية لقائدهم الهمام الملهم، حتى يتحقق فيه آمال الأمة ويحصل الاستيثاق للعهد والعقد الذي بينهما، وبذلك يجتمع الشمل وينتظم به أمر الخاص والعام.

4) مقصد إظهار الأسرة العلوية الشريفة محافظتها على كيان وحدة الدولة المغربية من

خلال هذه البيعة:

إن جهود الأسرة العلوية الشريفة - أمنها الله من كل سوء ومكروه - فيما يخص المحافظة على وحدة المغرب الوطنية، لهو أمر معروف في التاريخ، وذلك من عهد أول ملك من ملوكها الشرفاء الأحرار ذوي القدر العلي والفخر الجلي، ألا وهو المولى محمد بن الشريف بن علي المراكشي إلى يومنا هذا.

ومعالم المحافظة على الوحدة الوطنية من قبل الأسرة العلوية الشريفة مترامية الأطراف في مساحات التاريخ، لاتعبرها هذه الصفحات المعدودة القليلة. ولكن لتحقيق مقصد ما ذكر، نجتزئ منها القطعة المتعلقة بعهد مولاي الحسن الأول - قدس الله روحه - الذي يعتبر في نظري - والله أعلم من خلال ما اطلعت - أعظم دليل على بداية وحدة الدولة المغربية. إذ في عهده قويت آصرة الأخوة والتضافر بين أفراد الشعب المغربي بإحياء السنة وإماتة البدعة وإرجاع هيبة الخلافة الإسلامية وفرض احترام الخلافة على الدول المجاورة...¹

وباختصار فإن عهد المولى الحسن الأول يعتبر يتيمة عقد مفاخر العصور الماضية، التي انعكست عليه من شمائل الهدى النبوي ملامح الاحترام والتوفيق، فاستقامت الأمة وضبطت الأمور وتوحدت الدولة واختفى شبح الفتن الداخلية وتعلقت الرعية بملكها. فتوحدت دولة الإسلام من البحر الأبيض المتوسط إلى نهر السنغال. وأصبحت سلطة الدولة المركزية هي السائدة في كل شبر من أراضي هذا البلد الأمين. وهذا هو المقصد الأسمى الذي يوفره ويسعى إليه عقد البيعة وتجديده في كل مناسبة دينية ووطنية التي يحتفل بها الشعب المغربي من وحدة للدولة المغربية المسلمة تحت القيادة الرشيدة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله عز وجل.

5) مقصد تجسيد الحب والتعلق بالشرفاء آل البيت:

إن مما تمسك به المغاربة - منذ قرون - وعرفوا به بين شعوب وأمم العالم وحافظوا عليه خلفا عن سلف إلى يوم الناس هذا وإلى قيام الساعة - إن شاء الله - ما تجليه الحشود الغفيرة التي تحج من كل صوب وحذب في وقت واحد في يوم واحد إلى مكان واحد هو المشوار

¹ - انظر كتاب المغرب عبر التاريخ، للدكتور إبراهيم حركات، ج 3 ص 284، تحت عنوان: سياسة الحسن الأول وإصلاحاته، ط دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء. وانظر كذلك كتاب ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، ج 2 ص من 426 إلى 440، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

د. مولاي هاشم طاهيري

السعيد بالرباط بلباس واحد بصوت واحد... من مقصد ما يكنه المغاربة من حب وتعلق بأفراد أسرة الدوحة العلوية الشريفة وآل بيتها المعظم المبجل، وذلك تنفيذاً منهم للهدى النبوي الذي رسمته الأحاديث الكثيرة المستحسنة عند المحدثين وأهل الجرح والتعديل ونقاد الرواية... منها ما رواه الإمام الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما) ¹.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) ². صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حينما نتمعن النظر في هذه النصوص الحديثية وغيرها من المستفيض في مظانه، نتساءل: هل استحضر أسلافنا المغاربة مقاصدها ودلالاتها ومعانيها وهم يستقبلون المولى إدريس الأول ويبايعونه...؟؟

يجيبنا التاريخ - بكل فخر واعتزاز - أن: نعم ثم نعم ثم نعم... وإلا فكيف حرصوا على تنشئة المولى إدريس الثاني ليتابع تحمل الأمانة التي حملها والده؟ وقد نجا من مكاييد موقعة فخ، التي أودى فيها آل البيت، كما أودوا في مواقع أخرى ككربلاء وصفين والجمل... ³ فهاهم المغاربة الخلف يحققون مقصد الحب والتعلق بآل البيت خلال الاحتفال بعيد العرش المجيد بتجديد البيعة لأمر المومنين جلالة الملك محمد السادس - أيده الله - كلما حلت هذه الذكرى المجيدة. متبعون في ذلك نهج أسلافهم في الحب والتعلق المتين بالشرفاء آل البيت. كما نتساءل ثانية: هل استوعب المغاربة وهم يجددون هذه البيعة لأمر المومنين - حفظه الله - اليوم فقه السياسة الشرعية، الذي هو من الفقه المتجدد، الذي كان أول فقه اجتهد

¹ - سنن الترمذي، باب مناقب أهل البيت، رقم الحديث 3794. قال عنه الترمذي: حديث حسن غريب. ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

² - في رواية للحاكم في مستدركه على الصحيحين، باب الميم، مسألة رقم الحديث 3365، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان؛ والمعجم الأوسط، للطبراني، ج2 ص725، ط مكتبة المعارف الرياض؛ ومسند البزار، ج9 ص343، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

³ - انظر هذه المواقع في كتاب العواصم من القواصم؛ وكتاب تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور إبراهيم حسن إبراهيم، ج1، العصر العباسي الأول، من ص173 إلى 343، ط دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية.

ذ. مولاي هاشم طاهيري

فيه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وهم يبايعون أول خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة؟

لا يجيبنا هذه المرة التاريخ بقدر ما تجيبنا تلك الحشود المحتشدة من الصفوف المتراسة المنتظمة الملتفة حول ملكها في ساحة المشور السعيد، الذي يستحضر في أذهاننا وأذهان الواقفين فيه والناظرين إليه عبر وسائل الإعلام السمعية البصرية ساحة "مشور" سقيفة بني ساعدة، لوجود وجه الشبه بين البيعتين ولتحقيق المقصد من عقدهما.

لذلك فإن المغاربة قاطبة - خلفا عن سلف - وهم يبايعون رمزا من رموز آل البيت النبوي الطاهر، ويجددون ذلك كلما تجددت الذكرى بحلول يومها، ويلتزمون بالوفاء والولاء لبيعتهم إنما يفعلون ذلك عن عمق حب لآل البيت عقيدة وقناعة وإجماعا واختيارا؛ لأنهم يعلمون ويفقهون أن من يشد عن الجماعة فإنما هو ممن توعدهم الله في القرآن الكريم بالدخول إلى النار. ومن شذ شذ في النار، بقوله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)، صدق الله العظيم.¹ وذلك لنزوعهم إلى غير سبيل المؤمنين.

وما في هذه الآية الكريمة يؤكده ما جاء في الحديث الصحيح، الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية)، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.²

والجماعة هي السواد الأعظم، الذين بايعوا الإمام.

وهذا هو المنهج الذي عليه سلف المغاربة وبقي عليه خلفهم، كما سيبقون عليه فيما يستقبل من الزمان بإذن الله، حتى يأتي أمر الله وهم يبايعون العترة النبوية الشريفة، وقد فقهوا فقه السياسة الشرعية فيما يفعلون.

(6) مقصد إظهار وتجسيد المواطنة الكاملة ومرجعياتها الثابتة من خلال خطابات

جلالة الملك - حفظه الله -:

لم يخل قط حلول ذكرى عيد العرش المجيد وليس في تنظيم مراسم الاحتفال به مكان لإبراز هذه المواطنة الكاملة من جلالته ومرجعياتها الثابتة المستقرة بقدر ما هو مجسد

¹ - سورة النساء، الآية 114. وذلك لنزوعهم إلى غير سبيل المؤمنين.

² - صحيح مسلم، ص 531، كتاب وجوب التزام جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، رقم الحديث 1848، ط دار ابن حزم، القاهرة، بترتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

ذ. مولاي هاشم طاهيري

في أبرز سياق مراسم الاحتفال، ألا وهو الخطاب الملكي السامي، الذي يوجهه جلالته إلى شعبه الوفي ككل المناسبات الدينية والوطنية عبر وسائل الإعلام السمعية والبصرية والمكتوبة، كمناسبة الاحتفال بالذكرى عيد العرش المجيد. وقد رأيت أن الذي يظهر ويجسد هذه المواطنة الكاملة ومرجعياتها الثابتة نقل بعض الفقرات المتضمنة لهذا المقصد من أحد خطابات جلالته السامية، وإن كانت كلها تتضمن هذا المقصد. وذلك من خلال خطاب جلالته السامي الذي وجهه إلى شعبه الوفي بمناسبة الذكرى السادسة لاعتلاء جلالته عرش أسلافه المنعمين من رحاب القصر الملكي العامر بمدينة طنجة. وذلك يوم السبت 23 جمادى الثانية 1426هـ الموافق لـ 30 يوليوز 2005م. حيث تناول فيه - جلالته - ما ترمز إليه هذه الذكرى الغالية المتجددة... كما تناول فيه مختلف القضايا الوطنية الكبرى ذات الشأن العام للوطن والمواطنين... وكان في مقدمة ما تناوله جلالته في خطابه السامي موضوع: المواطنة الكاملة ومرجعياتها الثابتة: الدينية والوطنية، والتي تتمثل في: - الإسلام - الملكية - الوحدة الترابية والديمقراطية.

ففي الفقرة الأولى من خطابه السامي الدال على مقصد إظهار المواطنة الكاملة يقول جلالته: "الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه، شعبي العزيز: يكتسي احتفالنا بعيد العرش المجيد لهذه السنة طابعا متميزا لتزامنه مع الذكرى... للاستقلال. لذلك ارتأيت أن أجعل من خطابي لك اليوم في الذكرى السادسة لتقليدي أمانة قيادتكم، وقفة جماعية لاستلهام روح الوطنية العالية التي بفضلها استرجع المغرب سيادته، ولترسيخ قيم المواطنة المسؤولة باعتبارها الغاية والوسيلة للنهوض بالأوراش الكبرى للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية، التي تعاهدنا على إنجازها ضمن إجماع شامل حول ثوابت الأمة وخياراتها الكبرى مستمدين من الالتحام الوثيق بين العرش والمغاربة الذي شكل على الدوام مصدر قوتنا التي لا تتضب وعدة لتشييد مغرب الوحدة والديمقراطية والتقدم وذلكم هو التحدي الأكبر الذي مافئتنا نعمل على رفعه بالإصلاحات العميقة المتوالية. وكما أن لكل بناء ثابت ومرصوص دعائمه وأن للدين أركانه ولكل دولة قوية ركائزها القومية الخاصة، فإن للمواطنة الكاملة التي ننشدها لكافة المغاربة مرجعياتنا الدينية والوطنية التاريخية المتمثلة في الإسلام والملكية والوحدة الترابية والديمقراطية..."

ثم يقول جلالته: "وبقدر تمسكنا بما يميز الملكية المغربية من مشروعية دينية ودستورية وروح شعبية ووطنية تاريخية، فقد ارتقينا بها إلى ملكية وطنية من خلال ما حققناه

من تطور ديمقراطي وعمل تنموي وتحرك ميداني. ملكية فاعلة تجسد هوية خصوصيات الهوية المغربية في تجاوب مع الإرادة الشعبية والمقومات الحديثة للحكامة الجيدة وضمن الوحدة والثقة والاستقرار..."

ثم يضيف جلالته قائلاً: "... كما أن تعلقك شعبي العزيز - أبا عن جد - بوحدتك الترابية ليعد جزءاً لا يتجزأ من وطنيتك العريقة ومقوماً أساسياً للمواطنة العصرية الفاعلة، وهو ما جعل من تشبثك على الدوام بمغربية صحرائك قضية وجود لا مسألة حدود ..."

ثم ختم جلالته هذا الخطاب الملكي السامي بهذه الفقرة الحكيمة والجامعة بقوله: "... أما المسار الحيوي للتنمية البشرية والحكامة الجيدة المؤسسية والاقتصادية فيقتضي منا التعبئة القوية لكسب رهاناته المصيرية. وذلك بحسن استثمار رصيدنا الوطني الغني في الالتحام بين العرش والشعب، وطاقتنا المتجددة المتمثلة في توجيهنا الديمقراطي المتميز باعتبارهما معاً أمضى سلاح لكسب معركة النهضة الشاملة. وسنسير بإذن الله تعالى على درب التقدم والإصلاح لتحقيق ما تتطلع إليه شعبي العزيز من سؤدد وازدهار أسوة بأسلافنا الميامين، وفي طليعتهم جدنا ووالدنا المنعمان صاحباً الجلالة الملك محمد الخامس محرر المغرب والملك الحسن الثاني باني دولته الحديثة، خلد الله في الصالحات ذكرهما. واثقين من وعد الله الصادق لكل العاملين المخلصين: (إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً)، صدق الله العظيم.¹ والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته". انتهى نص الخطاب الملكي السامي.

7) مقصد إظهار الشخصية المغربية الثابتة:

إن الشخصية المغربية شخصية ثابتة قبل الإسلام وبعده، كما يشهد بذلك التاريخ. فالمغاربة كانوا يبحثون عمن يجتمعون حوله، لأنهم كانوا يؤمنون أن صلاحهم في الوحدة والالتفاف حول موحدتهم. فما أن سمعوا بالإسلام وما جاء به حتى عانقوه وأحبوه. وما أن وطئ بلادهم أول رجل ينتسب إلى صاحب الرسالة - صلوات ربي وسلامه عليه - حتى بايعوه وأيدوه وعزروه ونصروه والتفوا حوله. فاجتمعت كلمتهم وتم لهم ما أرادوا. وتأسست الأمة المغربية الإسلامية على يد ذلك الرجل العظيم المولى إدريس الأكبر - قدس الله روحه - . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الأمة المغربية شخصية ثابتة وأمة عريقة في المجد والوفاء والتضحية، كما أنها أمة واعية وحازمة في نفس الوقت.

¹ - سورة الأنفال، الآية 71.

ذ. مولاي هاشم طاهيري

وعليه فالتفافهم حول رجل ينتسب إلى بيت النبوة وإلى آل البيت في شخصية رسولنا الأكرم - صلوات ربي وسلامه عليه - قد صار عندهم عقيدة ثابتة لا يززعها أحد. يتوارثها الأبناء عن الآباء إلى يوم الناس هذا وإلى قيام الساعة. وهذا أكبر برهان على صدق إيمانهم ومحبتهم لنبي الرحمة عليه الصلاة والسلام.

وعقد البيعة في المملكة المغربية - منذ عهد المولى إدريس الأكبر إلى الآن - هي وثيقة تشتمل على ما يلزم الملك والشعب، وما يلتزمان به. فكلما انعقدت البيعة لأحد الملوك بالمغرب كان من المعلوم بالضرورة ماتمت عليه. فالأمة تعرف على أي شيء بايعت الملك فتثبتت على ذلك شخصيتها وتؤسسها عليه، والملك عن أي شيء ببيع فتكسبه ثقة شعبه ومحبته.

هذا وإن لكل بلد أيامه، ولكل بلد أعياده التي ينتظر حلولها بفارغ الصبر، ويستقبلها بحفاوة وسرور، وهذه سنة الله في خلقه. فبلدنا المغرب - ولله الحمد - له أيامه وله تاريخه العريق المجيد، وفيه أحداثه الكبرى التي تزهو بها صفحاته لأمجاده منذ أن نور الله بالإسلام ربوع بلاده، ومنذ أن أكرمه الله بسليبي الدوحة العلوية الشريفة من آل البيت خلفا عن سلف إلى يوم سيدنا المنصور بالله أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أدام الله عزه ونصره.

وعليه فإن ما نؤكد عليه - في هذه العجالة - هو أن في الاحتفال بهذه الذكريات والمناسبات الدينية والوطنية - كذكرى عيد العرش المجيد - شدا وتوثقا للمواطن المغربي إلى الارتباط بوطنه، وتمتين أواصر الوحدة والعلاقة والمحبة بين أفرادها فيما بينهم من جهة، وبين ملكهم من جهة ثانية، ونبذ الفرقة والتشرذم والتعصب والنزعات القبلية والعرقية بين شرائح مجتمعه.

هذا بالإضافة إلى أنها تعصمه وتحميه من التأثر بالأفكار الدخيلة المشوشة من قبل الخصوم والأعداء، خصوصا اليوم عندما غدا العالم أشبه بالقرية الصغيرة، وسهل على كل واحد ممن يحبون العيش في المياه العكرة، ويسعى إلى زعزعة استقرار أمننا وأماننا وسلامنا في ظل القيادة الرشيدة الحكيمة السديدة لمولانا أمير المؤمنين أطال الله في عمره وأبقاه فخرا وذخرا وملادا آمنا لشعبه الوفي، وحفظه في أسرته العلوية الشريفة بما حفظ به الذكر الحكيم. إنه نعم المولى ونعم النصير. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

تأسيس الاحتفال بعيد العرش بمدينة فاس على عهد الحماية

د. جواد الفرخ

المنشورية السامية لقدماء المقاومين

وأعضاء جيش التحرير - فاس

اعتمدت الحركة الوطنية بفاس إضافة إلى الحركات الاحتجاجية وتنظيم المظاهرات والإضرابات العديد من الآليات النضالية في مواجهتها لسلطات الحماية. وقد تنوعت أشكال الممانعة وتطورت مع مرور الوقت إلى أن أصبحت مواجهة مفتوحة على جميع الأصعدة، أربكت حسابات الدولة الحامية التي قامت في المقابل بعدة محاولات لوأد هذا النمو المضطرب. كانت الانطلاقة الفعلية للدخول في هذه المواجهة خلال أحداث ماي 1930م عن طريق تنظيم محطات احتجاج وممانعة بشكل شبه عفوي، لتنتقل بعدها الشبيبة الوطنية، بعد أن اتهمتها السلطات الاستعمارية بأنها حركة سلبية وغير منظمة وعدمية غير متعاونة، إلى مرحلة التنظيم السياسي حين تكونت كتلة العمل الوطني التي أصبحت رائدة العمل الوطني وناطقة رسمية باسم الحركة الوطنية المغربية. وصاحب تطور الحركة فتح أورش جديدة، ونوعت من أساليب التحدي، بهدف إثبات الذات نذكر منها على الخصوص: تقديم المطالب الإصلاحية والعرائض والبرقيات، أهمها دفتر مطالب الشعب المغربي الذي قدم في دجنبر 1934م، والتضامن مع بعض القضايا العربية وفي طليعتها القضية الفلسطينية، والحضور الوازن في جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، إضافة إلى صيغ أخرى من مثل تنظيم الحلقات الدراسية، ومواجهة وفضح المتعاونين مع الاستعمار، وتطهير الفكر المغربي عن طريق محاربة البدع والضلالات، وتأسيس عادة الاحتفال بعيد العرش.

وقد دشت الحركة الوطنية المغربية عادة الاحتفال بعيد العرش سنة 1933م بهدف التقرب من القصر، وجذب السلطان الشاب إلى صفوفها، وكسب عطفه، والالتفاف حول جلالته باعتباره رمز الكيان الوطني، وبالتالي إحراج السلطات الاستعمارية. وقد اعتبرت هذه المبادرة آنذاك ظاهرة جديدة في المغرب، إذ لم يسبق للبلاد أن عرفت تقليد الاحتفال بعيد من هذا القبيل، وإن كان الأمر قد وقع على عهد مولاي عبد الحفيظ، حيث ورد خبر بجريدة الحق التي كانت تصدر بمدينة طنجة في عددها ليوم الأحد 16 يوليوز 1911م، لمراسلها

بمدينة فاس جاء فيه: " في يوم الاثنين الفارط، احتفل جلالة السلطان بعيد جلوسه على عرش المملكة المغربية، لأنه ببيع بمراكش في اليوم السادس من شهر رجب، فاتخذ ذلك اليوم عيداً يجده كل سنة، ظلت المدافع تردد صدى أصواتها سائر اليوم، وأقيمت الأفراح ومراسم الزينة..."¹.

وحظيت فكرة الاحتفال بعيد العرش، في شكلها الجديد، باهتمام الباحثين والدارسين، من مثل الفقيه عبد الحفيظ الفاسي الذي حل موضوع الاحتفال من وجهة النظر الدينية، وخلص إلى تأييد الفكرة، واعتبر أنها لا تخالف الشرع، وليست من البدع، مشيراً إلى احتفال الرسول صلى الله عليه وسلم بالعديد من الأعياد كعاشوراء وذكرى مولده، مؤكداً بأن ما " يقع في مثل هذه الأعياد من إظهار الزينة والاحتفالات بالآلات الموسيقية وغيرها، كله مباح ما لم يصل إلى إثارة المناكر لأن الشأن في الأعياد إظهار ذلك..."، مستدلاً على ذلك بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في يوم عيد، ولم يمنعهما الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك. وفي معرض تحليله لموضوع الاحتفال بعيد العرش، حذ عبد الحفيظ الفاسي تخليد هذه الذكرى وفق التاريخ العربي وليس الميلادي، إذ قال: " لا كن ها هنا مسألة لا بد من التنبه عليها، وهو أن الاحتفال كان ينبغي أن يقع في مثل هذا اليوم من الشهر العربي، وهو يوم 22 من جمادى الأولى، لأننا عرب وجلالة السلطان عربي ومكاتبه الرسمية تصدر بالعربية. أما التاريخ الإفرنجي، وإن كنا نعمل به، فلنتركه للأمور الإدارية والمالية والفلاحية فهو أولى"².

ودافع عبد الرحمان بن زيدان عن فكرة الاحتفال بعيد العرش أيضاً في كلمة له بالمناسبة، قال فيها: "...أيتها الأمة المغربية، ذات النخوة العربية، والنفوس الأبية، إنه لا بدع في قيامكم بهذا الواجب المطلوب، نحو ملككم المحبوب، فإن شأنكم إقامة المهرجانات الفخمة، والاحتفالات بالذكريات الضخمة، فكم من مواسم تقام في مغربكم، وتنفق عليها الملايين من جيبكم، يشوها الضالون بشدخ الرؤوس، بزير الحديد ومحدد الفؤوس، وإخراج الصلاة عن الوقت، إن لم نقل بالترك الكفيل لهم بالويل والمقت، واختلاط النساء بالرجال،

¹ - المنوني محمد، "صور من الانبعاث المغربي في عصر السلطان الحفيظ"، مجلة دار النياية، العدد 17، السنة 5، شتاء 1988م، المطابع المغربية والدولية، طنجة، 1988م، ص. 33.

² - الفاسي عبد الحفيظ، "العيد في نظر الشرع"، مجلة المغرب، العدد 14، السنة 2، نونبر 1933م، ص. 12.

- الفاسي عبد الحفيظ، "ذكرى جلوس جلالة السلطان على عرش أسلافه الكرام"، جريدة السعادة، العدد 4052، 25 نونبر 1933م، ص. 2.

ذ. جواد الفرخ

والتجاهر بكل منكر جال، كبقر بطون الشياه، والتلطخ بالدم المسفوح والله على ذلك ناه...¹.

وقد انبثقت فكرة الاحتفال بعيد العرش حسب المؤرخ عبد الله الجراري: "... عن المؤتمر الثالث لطلبة شمال إفريقيا المسلمين الذي انعقد سنة 1933م، حيث تقرر المطالبة بالاحتفال به، وتأسست على إثر ذلك في فاس والرباط ومراكش لجان للتخابر بهذا الشأن مع سلطات الحماية..."².

وذكر الحاج أحمد معنيو، وأبو بكر القادري أن الفضل في طرح فكرة إحياء عيد العرش يعود إلى الوطني محمد حصار من مدينة سلا، الذي نشر ندائين اثنين: واحد باللغة العربية نشرته مجلة المغرب تحت عنوان "الأعياد الإسلامية"، وآخر باللغة الفرنسية نشرته جريدة لاكسيون دي بوبل L'Action du Peuple، دعا فيهما إلى اتخاذ يوم تاريخ جلوس السلطان على العرش عيداً وطنياً³. وفي هذا الصدد أكد الحاج أحمد معنيو على أسبقية مدينة سلا في الاحتفاء لأول مرة بهذا العيد الوطني، مستندا في ذلك على ما نشرته جريدة السعادة في عددها 4051 المؤرخ في 23 نونبر 1933 م تحت عنوان "احتفال سلا بعيد العرش المجيد"، ومجلة المغرب في عددها 14 لشهر نونبر 1933م تحت عنوان: "عيد العرش بسلا". وذهب أكثر من ذلك وانتقد احتفال مدينة فاس بعيد العرش سنة 1933م وقال أنه لا يتعدى أن يكون حفلاً أقامته جريدة عمل الشعب على نفقتها لا أقل ولا أكثر⁴. ومقابل ذلك ذكر محمد بن الحسن الوزاني أن فكرة الاحتفال بعيد العرش كانت وليدة مقترح محمد

1- ابن زيدان عبد الرحمان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس العامة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1937م، ص. 222.

2- الجراري عبد الله، "ملاحم من أدب عيد العرش"، مجلة دعوة الحق، العدد 2، السنة 18، مارس 1977م، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977م، ص. 81.

- الجراري عباس، مع المعاصرين، الجزء 3، منشورات النادي الجراري، الطبعة الأولى، دجنبر 2009م، مطبعة الأمنية الرباط، ص. 160.

3- معنيو أحمد، "الاستعدادات الأولى للاحتفال بعيد العرش في 18 نوفمبر 1933م"، مجلة دعوة الحق، العدد 2، السنة 18، مارس 1977م، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977، صص. 117- 118.

- القادري أبو بكر، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940م، الجزء 1، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992م، ص. 160.

4 - معنيو أحمد، "نشوء عيد العرش واحتفال سلا به"، مجلة الإرشاد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد 8، مارس 1991م، ص. 73.

ذ. جواد الفرخ

صالح ميسة مدير مجلة المغرب، وهو المقترح الذي أخرجته جريدة عمل الشعب إلى حيز التطبيق حين دعت إلى اتخاذ يوم 18 نونبر من كل سنة عيداً وطنياً للعرش¹. أما جورج سبيلمان فيرى أن فكرة تقرب الشباب الوطني من السلطان كانت بإيعاز من شكيب أرسلان، أثناء زيارته للمغرب، حينما دعا الشبيبة الوطنية المغربية إلى بذل الجهود بغاية كسب مساندة السلطان، أو على الأقل تعاطفه، والدفاع عنه، والاحتجاج على وضعية الإقصاء التي يوجد عليها، وتنزيلاً لهذه التوجيهات جاءت فكرة الاحتفال بعيد العرش².

وبعيداً عن هذه الاختلافات يشار إلى أن جريدة لأكسيون دي بوبل L'Action du Peuple كانت قد نشرت، استعداداً لإخراج مقترح الاحتفال بعيد العرش إلى حيز الوجود، في عددها 12 المؤرخ في 20 أكتوبر 1933م صورة للسلطان بلباس تقليدي، وكتبت تحتها أن: "سيدي محمد خلف والده في 18 نوفمبر 1927م، وأنه بعد قليل يمكن تنظيم حفلات كبرى احتفاءً بذكرى جلوس سيدي محمد على العرش، وهكذا يصبح يوم 18 نوفمبر "عيداً رسمياً للعرش"، فاتخاذ هذا العيد يلبي رغبة جد قابلة للتحقيق..."³. وكتبت: "أن الشعب المغربي سيكون سعيداً، إذا ما صدرت التفاتة كريمة، كما يفعل جميع رؤساء الدول في الأمم المتحضرة، من سيدي محمد بن يوسف، وهي العفو عن جميع المساجين الوطنيين بادئاً بالشبان المعتقلين لأفكارهم السياسية، وكثير منهم حكم عليه ظلماً وباطلاً..." وفي عددها 15 المؤرخ في 10 نونبر 1933م نشرت الجريدة أيضاً مقالا بعنوان: "عيد العرش" ثمنت فيه دخول مقترح إقامة عيد العرش حيز الإنجاز، وإجماع جميع الأوساط المغربية عليه، وحللت مغزى الاحتفال بالحدث، ونشرت مختلف المبادرات التي تقام بسائر المدن لإحياء الحفل⁴. نفذت الحركة الوطنية إذن هذه المبادرة الذكية والشجاعة. وحول الهدف الذي كانت تتوخاه الشبيبة الناهضة من فكرة الاحتفال بعيد العرش، يوضح محمد بن الحسن الوزاني

1- الوزاني محمد الحسن، حرب القلم، الجزء 1، نشر مؤسسة محمد بن الحسن الوزاني، مؤسسة جواد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1984م، ص. 91.

2- سبيلمان جورج، المغرب من الحماية إلى الاستقلال 1912-1956م، ترجمة محمد المؤيد، منشورات مجلة أمل، مطابع الرباط نت، الطبعة الأولى، 2014م، الرباط، صص. 69-70.

3- الوزاني محمد حسن، مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، 3 مرحلة الانطلاق والكفاح 1930-1934م، نشر مؤسسة محمد الحسن الوزاني، مؤسسة جواد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1984م، م.س، ص. 468.

4- نفسه، ص. 471.

ذ. جواد الفرخ

الأمر بما يلي: "... أما لماذا أردنا عيداً للعرش، وذكرى الجلوس الملكي، ولماذا لم يرد المستعمرون من جهتهم شيئاً من هذا مطلقاً فهو ما يلي: أن الحركة الوطنية الفتية في عام 1933م، وهي السنة التي تأسست فيها جريدة عمل الشعب (شهر غشت)، أرادت أن تلتف، وتلف الأمة جمعاء في البلاد كلها حول العرش والملك الشاب بصفتهما، الأول السيادة (السلبية المغتصبة بيد المستعمر)، والثاني الرئيس الأعلى الذي تتشخص وتتمركز فيه هذه السيادة التي هي وديعة وأمانة عهدت بها الأمة إليه ببيعة شرعية صادقة... وكنا نرمي بسعيننا في سبيل ذكرى الجلوس الملكي، بالإضافة إلى إيجاد عيد وطني سياسي يضاف إلى أعيادنا الإسلامية، تكوين وحدة متينة قوية ثابتة بين الأمة والعرش وبين الملك والحركة الوطنية التي كانت في حاجة إلى تأييد جانبها... كما كنا نرمي بسعيننا ذاك إلى إحباط سياسة الاستعمار القائمة على تحطيم وحدة البلاد... وطبيعي أن لا يرام تحقيق هذا كله يومئذ إلا عن طريق الاتحاد المتين بين العرش والأمة، وبين الملك والحركة الشعبية الوثابة..."¹.

لقد قوبلت دعوة الاحتفال بعيد العرش في البداية بالرفض من طرف سلطات الحماية. فكون الشباب الوطني بفاس لجنة للاتصال مع الجهات المسؤولة في هذا الشأن، ضمت أعيانا وشباناً، هم: إدريس برادة تاجر بالمدينة، ومحمد بن العباس جسوس تاجر ورئيس جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية الإسلامية سابقاً، وعبد العزيز بوطالب مدير المطبعة الجديدة، والهادي السنتيسي تاجر بالمدينة، وعلي العراقي طالب بجامعة القرويين، والطيب بوعياذ نائب رئيس جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية سابقاً². وقامت ابتداء من يوم الأربعاء 15 نونبر 1933م بالعديد من الاتصالات والمقابلات مع رئيس البلدية، ونائب رئيس الاستعلامات، ثم الجنرال حاكم الناحية الذي استقبل عضو اللجنة محمد جسوس³. وقد تظاهرت السلطات المحلية بفاس بعدم رفض الفكرة وعبرت عن موافقتها المبدئية، ووعدت اللجنة التحضيرية بالرد على مقترحها بعد الاتصال بالدوائر العليا بالرباط، غير أن الأمر لم يكن إلا تسويفاً ومناورة من السلطات بغاية تفويت الفرصة على الوطنيين لتنفيذ فكرة الاحتفال بعيد العرش سنة 1933م⁴. وبالفعل فقد استدعى باشا المدينة محمد التازي يوم الجمعة 16 نونبر 1933م

1 - الوزاني محمد الحسن، حرب القلم، الجزء 1، نشر مؤسسة محمد بن الحسن الوزاني، مؤسسة جواد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1984م، صص. 92- 93.

2 - "عيد 18 نوفمبر بفاس"، مجلة المغرب، العدد 14، السنة 2، نونبر 1933م، ص. 21.

3 - الوزاني محمد الحسن، مذكرات حياة وجهاد...، الجزء 3، م. س، ص. 475.

4 - الوزاني محمد الحسن، حرب القلم، الجزء 1، م. س، صص. 94- 95.

ذ. جواد الفرخ

أعضاء اللجنة وأبلغهم تشكرات جلالة السلطان والصدر الأعظم على ما أبدوه من تعلق بالعرش، مشيراً إلى أن الوقت الذي يفصل عن تاريخ ذكرى عيد العرش لا يسمح بتهيئ احتفال كبير يليق وعظمة الحدث، فاعتبرت اللجنة أن مهمتها قد انتهت، وقررت حل نفسها دون تحقيق الغاية التي أنشأت من أجلها¹.

وأصر شباب الحركة الوطنية، رغم هذا القرار، على تنفيذ فكرة الاحتفال بعيد العرش، غير عابئين بقرار السلطات المحلية التي اعتقدت أن الأمر انتهى بحل اللجنة التحضيرية، وقرروا تنظيم حفلة كبيرة بحديقة جنان السبيل. وبغية إعطاء إشعاع شعبي لهذه المحطة الاحتفالية الوطنية "نودي في المدينة بواسطة الدعاة المنبثين في كل مكان ليحضر الناس في مقهى المنتزه العمومي بأبي الجنود..."²، واتخذت جميع الإجراءات والترتيبات التنظيمية.

وخلال يوم الذكرى، أغلقت سائر المدارس الحرة، وتوقفت الدراسة بالقسم العالي لجامعة القرويين، كما عطل العمل بأهم أسواق بالمدينة القديمة. ورغم الأحوال الجوية السيئة، فقد حج إلى الحديقة العمومية جنان السبيل عشية يوم 18 نونبر 1933م العديد من الجماهير، حتى ضاق المكان بمن فيه. وفي وصف لحجم الحضور، ورد في مجلة المغرب مقال نرجح أن كاتبه هو محمد بن الحسن الوزاني: "... ابتداء من الساعة الثالثة مساءً وبالرغم من شدة البرد وعصف الرياح وهمرات الأمطار المتتابة أخذت قهوة بستان أبي الجنود تمتلئ بالكثير من "المطريشين" وبعض "المعممين". ولم تدق الساعة الرابعة حتى غص البستان بالحاضرين. وقد استجلبت عدد عديد من المقاعد من المقاهي الأخرى، وكثيراً ما كان يشترك شخصان إثنان في مقعد واحد. وفي الساعة الخامسة كان عدد الواقفين أكبر من عدد الذين احتاطوا فجاءوا باكزين ليجدوا كراسي للجلوس. وقد احتشدت الخلائق حتى أن الجسر الخشبي الصغير كاد أن يتحطم تحت ثقل الناس الذين كانوا وقواً عليه، هذا ما عدا الجموع التي كانت تتزاحم على الضفة المقابلة من الوادي، يرقبون عن بعد سير الحفلة على قدر الإمكان"³.

1 - "عيد 18 نوفمبر بفاس"، مجلة المغرب، م.س، ص. 21.

2 - الوزاني محمد الحسن، حرب القلم، الجزء 1، م.س، ص. 95.

3 - "عيد 18 نوفمبر بفاس"، مجلة المغرب، م.س، صص. 21-22.

ذ. جواد الفرخ

وأقام المنظمون حفلا بهذه المناسبة على شرف الحاضرين، رفع فيه العلم الوطني لأول مرة¹، وصور السلطان²، ووزعت الحلويات وكؤوس الشاي والقهوة والمشروبات الغازية³، وصدحت أنغام الأسطوانات الغنائية. وبعدها نظم مهرجان خطابي، أجمع فيه المتدخلون على " ... فضح الأسرار، وتبويه الغافلين، وتذكير الزاهلين، وأعلن في الناس أنهم دعوا بمناسبة (18 نوفمبر) الذي هو يوم بيعة جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف نصره الله وذلك للاحتفال بذكرى جلوسه على عرش أسلافه الكرام..."⁴.

واختتم الحفل بترديد نشيد نظمه محمد القري بهذه المناسبة⁵، يقول في بعض أبياته⁶:

أيها الشباب هبو إنكم روح النشاط
ولتحياوا في سرور وابتهاج واعتباط
ملكا يحيي البلاد
ملكا روح الترقى منه يسري للشباب
فيقوي فيه عزما مدنيا كل الصعاب
فيرى مندفعاً في قوة الأسد الغضاب
قصده إعلاء البلاد
هنئوا بالعيد سلطا ن البلاد المغربية
إنه عيد جلوس الملك الذات الأبية

1- يقول امحمد بن هاشم العلوي في معرض حديثه عن أول احتفال بعيد العرش بأنه حصل اختلاف إذ كان من رأي رجال المدرسة العصرية أن يرمز في الاحتفال بالرايتين المغربية والفرنسية كمجاملة ولكن الأستاذ علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني وأتباعهما رفضوا ذلك قائلين: إن المغرب أمة واحدة، رايته واحدة وعرشه واحد وما كان المتطفل أن يصبح صاحب الدار أو شريكا فيها. انظر: العلوي امحمد بن هاشم، *من وراء من وراء السدود أو الحركة الوطنية بفاس سنة 1937 و 1944م*، دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة الثانية 1980، ص. 79.

2- بوطالب عبد الهادي، *ذكريات شهادات ووجوه*، الجزء 1، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1992، م. س، ص. 268.

3- يؤكد محمد بن الحسن الوزاني أن الحفل نظم على نفقة صندوق جريدة عمل الشعب.

4- الوزاني محمد الحسن، *حرب القلم*، الجزء 1، م. س، ص. 95.

5- ذكر أبو بكر القادري أن نفس النشيد رددته الجماهير المشاركة في الاحتفال الذي نظمته سكان مدينة سلا: القادري أبو بكر، *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية ...*، الجزء 1، م. س، ص. 160.

6- الوزاني محمد الحسن، *مذكرات حياة وجهاد ...*، الجزء 3، م. س، صص. 477-478.

فوق عرش الملك إرثا عن صناديد الحمية
عيد شبان البلاد
إنه عيد عظيم إنه عيد الملك
سيد الشبان إنا منك نعتز وبك
فأمدد العون إلينا كي رقيا نمتلك
أنت من ترجو البلاد

وقد ذكر عند أحمد بنسودة، ارتباطا بموضوع النشيد، أن الشاعر محمد القري لبي رغبة بعض المشاركين في هذا الحفل الوطني، بعد أن طلبوا منه نظم نشيد بالمناسبة للتعبير عن الشعور الجماعي وتقوية أواصر الانتماء الوطني بينهم، فقال في شبه ارتجال أبياتا بالمناسبة مطلعها:

ملك البلاد عليك الأمل يعلقه الشعب بعد العمل
فحقق له فيك ما يرتجي يحقق لك الله كل أمل

ويضيف أحمد بنسودة أنه بنفس السرعة التي نظم بها النشيد، لحن مولاي علي الإدريسي أبياته، فانطلقت الحناجر تردد بأصوات عالية هذه الكلمات، وساد جو من الرهبة والخشوع في أرجاء حديقة جنان السبيل¹. وسار عبد الهادي بوطالب على نفس النهج حيث أشار إلى أنه استعدادا للمشاركة رفقة زملائه من مدرسة العدو في هذا الاحتفال الأول بعيد العرش، تدريبوا على ترديد بيتي شعر من نظم محمد القري للتغني بهما في الحفلة² وهما:

ملك البلاد عليك الأمل يعلقه الشعب بعد العمل
فحقق له كل ما يرتجي يحقق لك الله كل أمل³.

وفي ختام الحفل، حرر المنظمون بعين المكان برقية إلى السلطان، تم تسليمها يوم 20 نونبر 1933م إلى خليفته بفاس مولاي المامون من طرف وفد من الشبيبة الوطنية ضم كلا من:

¹ - بنسودة أحمد، "عيد العرش أمل وعمل"، مجلة دعوة الحق، العدد 2، السنة 28، مارس 1987م، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1987م. صص. 11-12.

² - بوطالب عبد الهادي، ذكريات شهادات ووجوه، الجزء 1، م.س، ص. 243.

³ - نلاحظ هنا وجود تناقض بين شهادات الباحثين ومؤرخي الحركة الوطنية والمجايلين لها، فشهادة عبد الهادي بوطالب تنفي بشكل قاطع ما ورد لدى أحمد بنسودة من كون الشاعر محمد القري ارتجل النشيد في عين المكان، الأكثر من ذلك أن هذا النشيد مغاير تماما للنشيد الذي ورد في تغطية محمد بن الحسن الوزاني للحفل المقام بحديقة جنان السبيل.

د. جواد الفرخ

محمد بن إبراهيم الكتاني، ومحمد بن الهاشمي الفيلاي، وإدريس بن الماحي الإدريسي، وعبد الحميد الصفرىوي. وقد رد السلطان ببرقية مماثلة أرسلها الصدر الأعظم نيابة عنه. كما بعثت إدارة جريدة لأكسيون دي بوبل L'Action du Peuple برقية إلى السلطان وقعها محمد بن الحسن الوزاني، إضافة إلى برقيات أخرى رفعها أساتذة القرويين الشبان أمضاها: ابن إدريس بن عبد الله، والكتاني، والغربي، والدرقاوي، والشرابي، وأعضاء جمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي إدريس الإسلامية بتوقيع رئيس الجمعية المنيعي، وأخرى من طلبة جامعة القرويين¹. وقد لقيت برقيات فاس وغيرها من البرقيات التي توصل بها السلطان سيدي محمد ابن يوسف، وهو وقتئذ بمراكش في رحلته الخريفية، كل القبول والاستحسان².

وفيما يلي نص برقية جريدة لأكسيون دي بوبل L'Action du Peuple:

"إلى جلالة السلطان سيدي محمد

اغتناما للفرصة التي سنحت بمناسبة عيد التاج، فإن لجنة تحرير جريدة "عمل الشعب" تعبر لجلالتكم، مع ما يليق بسمو جنابها من التعظيم، عما لها نحوكم من عواطف التعلق والإخلاص، كما نتمنى من صميم الأفتدة أن يمد الله في عمركم حتى يكون ملككم فاتحة عصر يشمل فيه الرقي الأدبي والمادي، جميع الأمة المغربية التي أنتم إمامها، وفي شخصكم تستمر شخصيتها التاريخية التي أنتم رمز لها، تلك الأمة التي تعلق على جلالتكم جميع آمالها، لتسير إلى ما هو أحسن مما هي عليه الآن. ولتفضل جلالتكم بقبول مراسيم الخضوع التي يتشرف جميع أعضاء إدارتنا بقبولكم لها. عن لجنة التحرير: محمد الحسن الوزاني"³.

ويختلف نص البرقية هذا الذي ورد بمجلة المغرب تماما عن النص الذي جاء عند محمد

ابن الحسن الوزاني في مؤلفه حياة وجهاد، الجزء 4، وصيفته كالتالي:

"صاحب الجلالة السلطان سيدي محمد

مراكش

إن هيئة "عمل الشعب" تحس بفرح لا يوصف في هذا اليوم الذي هو يوم ذكرى تنصيب جلالتكم. ولها الشرف العظيم أن تنتهز هذه المناسبة للإعراب لكم، بكل الاحترام الواجب

1 - "عيد 18 نوفمبر بفاس"، مجلة المغرب، م.س، ص. 22.

2 - بن زيدان عبد الرحمان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس العامة، م.س، ص. 224.

3 - "عيد 18 نوفمبر بفاس"، مجلة المغرب، م.س، ص. 37.

ذ. جواد الفرخ

لشخصكم السمي، عن أخلص مشاعر التعلق العميق. كما تتوجه بأحسن الدعاء لكم بطول الملك وازدهاره تحت الشعار السعيد الذي هو التقدم المعنوي والمادي للأمة المغربية جمعاء التي أنتم إمامها المجيد، والمشخص الأعلى لاستمرارها التاريخي، فهي تضع في جلالتم أملاها الأسمى لتتوجهوا بها نحو المصير الأمجد، وتفضلوا، جلالتم، فشرفوا الهيئة بقبول احترامها وولائها. عن الهيئة: الوزاني¹.

وقد نشرت جريدة لا فولونتي دي بوبل La Volonté du Peuple جواب السلطان على البرقية المذكورة وهو كالتالي:

"مراكش في 22 - 11 - 1933م

السيد محمد بن الحسن الوزاني

مدير "عمل الشعب"

قصة بوجلود، فاس

جوابا عل برقيتكم المعبرة عن متمنياتكم للجلالة الشريفة بمناسبة عيد عرشها، فإن سيدنا كلفني بأن أشكركم، وأشكر كذلك جميع المشار إليهم في برقيتكم على مشاعرهم. الإضاء: محمد المقرئ².

كانت هذه إذن هي أجواء الاحتفال بعيد العرش المنظم من طرف الشباب الوطني بفاس، الذي تحدى مناورات سلطات الحماية، واحتفل بأول ذكرى. ورغم أن الحركة الوطنية لم تستطع أن تجعل من الاحتفال الأول عيدا رسميا، فإنه على الأقل كان حدثا مهد لترسيم هذا العيد الذي تم في السنة الموالية³، حين قررت الإدارة الاستعمارية، قبل حلول عيد العرش لسنة 1934م، استصدار قرار وزيري في شأن اتخاذ اليوم الثامن عشر من شهر نونبر عيدا رسميا، ونشر في الجريدة الرسمية، ومضمونه كالتالي⁴:

"الحمد لله وحده

1 - الوزاني محمد حسن، مذكرات حياة وجهاد...، الجزء 3، م.س، ص. 479.

2 - نفسه، ص. 480.

3 - الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة السابعة، الرباط 2010م، ص. 163.

4 - "قرار وزيري يؤسس بموجبه عيد التذكار"، الجريدة الرسمية للدولة المغربية الشريفة المحمية، العدد 1149، 2 نونبر 1934م، ص. 1580.

قرار وزير يؤسس بموجبه عيد التذكار

يعلم من هذا الكتاب بوجود سيدنا أيده الله أن جناب المخزن الشريف أمر بما يأتي:
 الفصل الأول: يؤسس اليوم الثامن عشر من شهر نونبر عيدا لتذكار صعود جلالة السلطان على عرش أسلافه المقدسين ابتداء من هذه السنة فصاعدا .
 الفصل الثاني: يقوم باشا كل مدينة من مدن الإيالة الشريفة بتنظيم الأفراح الجارية في عهد السلاطين المقدسين بمناسبة فرح بفتح أو حادث سار يحدث بذاتهم المنيفة أو مملكتهم الشريفة وتشمل على:

أولا: تزيين المدن؛

ثانيا: الطرب في الأسواق؛

ثالثا: تفريق الثياب والطعام على يد الجمعيات الخيرية؛

رابعا: يوم عطلة لسائر موظفي المخزن الشريف؛

الفصل الثالث: أما العاصمة التي يحل بها الجناب الشريف، فإن بعض أعضاء اللجنة البلدية أو الموظفين أو الأعيان يتوجه تحت رئاسة الباشا للقصر العالي لتقديم مراسيم التهاني للجناب العالي وذلك بالنيابة عن أهالي المدينة.

الفصل الرابع: لما كان الغرض في تمام المحافظة على العوائد، ولئلا يحدث بسبب هذا العيد المؤسس ما يمس الحياة التجارية أو الإدارية في المملكة الشريفة، يقرر بأن أفراح العيد لا تتجاوز يومه، ولا تتعداه إلى غيره، كما أنه لا تكون خطب، ولا أوفاد الناس والسلام. وحرر بالرباط في 16 رجب عام 1353 هـ الموافق 26 أكتوبر سنة 1934م. محمد المقري، اطلع عليه وأذن بنشره، الرباط في 31 أكتوبر 1934م: القومسيير المقيم العام هنري بونصو.

مهم جدا أن تصدر سلطات الحماية قرارا وزيريا، وترسم الاحتفال بعيد العرش، غير أن الباحث في هذا الموضوع يتبادر إلى ذهنه السؤال التالي: ألم تكن الإدارة الاستعمارية تتوخى من تقنين هذا الاحتفال سحب البساط من الحركة الوطنية التي كانت تهدف إلى جعل عيد العرش واجهة لمواجهة الاستعمار، وإفراغ الاحتفال من مغزاه الحقيقي وأبعاده الوطنية، وتجريده من خلفيته الكفاحية التي أرادت لها الشبيبة الوطنية؟. فالتصفح لنص القرار يجد فيه ما يحيل على هذه النية المبيتة، حيث أوكل المشرع في الفصل الثاني إلى السلطات وحدها مأمورية الاحتفال بعيد العرش لقطع الطريق أمام التنظيمات الوطنية، وأناط بالجمعيات الخيرية وحدها مهمة توزيع الإعانات، ونص في فصله الثالث على أن أفراح العيد لا تتجاوز يوما واحدا، ولا تلقى فيها خطب، ولا تقدم فيها وفود. ويبدو أن السلطات استفادت من

تجربة احتفال سنة 1933م، والذي سجلت فيه تجاوزات من مثل إلقاء الخطب، وترديد الأناشيد، فأرادت الدخول على الخط لكي لا يبقى الشباب الوطني ماسكا بخيط رفيع في علاقته مع السلطان، منفردا بهذا الاحتفال. وهنا أيضا نطرح السؤال التالي: هل تم بالفعل الالتزام بنود هذا القرار الوزاري خلال احتفالات العيد لسنة 1934م؟ وبصيغة أخرى هل تمكنت السلطات الاستعمارية من سحب البساط من الشبيبة الوطنية؟ أم أن تقنين الاحتفال لم يزد إلا انتشارا وتوسعا في باقي مدن المملكة وفاس على وجه الخصوص. ومهما يكن فالمؤكد أن الاحتفال بعيد العرش أضحى حدثا وطنيا بارزا، ومناسبة سنوية لإثارة المشاعر والعواطف، وإذكاء الحس الوطني، كما أصبح العيد نفسه فرصة يتنافس فيها المغاربة لإظهار معالم الزينة والفرح، وموعدا يتبارى فيه الشعراء والأدباء لكتابة الأناشيد الوطنية والأشعار الحماسية والمقالات، التي ساهمت في توعية الشعب.

فقد ورد في تغطية لجريدة لوبوتي ماروكان Le Petit Marocain لأجواء الاحتفال بعيد العرش لسنة 1934م أن المناسبة مرت في مدينة فاس في أجواء طفى عليها الفرح والسرور، حيث قام الحرفيون والصناع بتزيين محلاتهم والأزقة والشوارع، وأقيمت التجمعات الاحتفالية. وفي المساء تم تنظيم حفل استقبال رسمي ترأسه الجنرال ماركي حاكم الناحية والباشا محمد التازي¹.

ونظمت كتلة العمل الوطني في سنة 1935م، بمناسبة ذكرى عيد العرش، مباراة بين الشعراء لاختيار نشيد رسمي للعرش، ووجهت في هذا الشأن رسائل إلى المهتمين، ومؤيدي الحركة الوطنية. وقد وقفنا على ثلاث رسائل وجهها علال الفاسي إلى محمد داود، ومحمد المختار السوسي، وعبد الله كنون يدعوهم فيها إلى المشاركة في هذه المسابقة². ومما جاء في الرسالة الموجهة إلى عبد الله كنون:

"تحية وسلاما دائمين،

وبعد، فإن كتلة العمل الوطني قررت جعل مسابقة بين شعراء المغرب لوضع نشيد ملكي بمناسبة عيد العرش وبما أنكم من هؤلاء الشعراء فالرجاء منكم أن تشاركوا بوضع نشيد في الموضوع وتبعثوا للأخ محمد اليزيدي زنقة سيدي قاسم الرباط.

1- "La première fête du trône a été célébrée avec faste", Le Petit Marocain, N° 5690, 19 novembre 1934, p. 3.

2- داود حسناء، الرسائل المتبادلة بين علال الفاسي ومحمد داود (1347هـ/1928م - 1356هـ/1937م)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2000م، ص. 103.

- الفاسي علال، رسائل تشهد على التاريخ، تنسيق وتقديم الأستاذ شبيبة ماء العينين، مطبعة الرسالة، الطبعة الثانية، 2006م، ص. 43.

ودمت لأخيك. محمد علال الفاسي¹.

ويصف علال الفاسي أجواء الاحتفال بعيد العرش لسنة 1935م في رسالة وجهها إلى رفيقه محمد داود مؤرخة في 20 نونبر 1935م حيث جاء فيها: "لقد مر العيد في هذه السنة على غاية من الأبهة والرونق في سائر الحواضر المغربية، وكانت الرايات ترفرف في كل السطوح وسائر المنعرجات. وفي خصوص فاس فإن حفلاتها كانت بالغة المنتهى. وقد احتشد الجمهور في الصباح بالقرويين لتلاوة بعض السور القرآنية، ثم خرج فوج من الوطنيين، وطاف في جميع الأسواق لمشاركة الشعب في أفراحه. وفي مساء اليوم على الساعة الخامسة، أقامت الكتلة اقبالا شيقا، حضره ما يربو على الثلاثة آلاف من الخلق، حيث كان رجال الكتلة يقبلون زوارهم بين أكواب الشاي والحلويات ونغمات الطرب وصدى الأناشيد الوطنية. واستمرت الحفلة إلى الساعة الثامنة مساء، حيث أخذت صور لمختلف مناظرها².

وظل الشعب المغربي متشبثا بعادة الاحتفال بعيد العرش حتى في أحلك الظروف التي كان يعيشها المغرب، حيث عثرنا في رسالة موجهة من عبد الوهاب بنمنصور إلى عبد الخالق الطريس إشارة إلى احتفال مدينة فاس بذكرى سنة 1937م حيث يقول: "... بالأمس احتفلت المنطقة بعيد العرش. وقد كانت الكثابة والحسرات متجلية على الجميع. وقد حاولت الحكومة أن ترغم الناس على استخدام، حتى الراديو، فرفضوا واجتمع الإخوان بالقرويين عقب صلاة الظهر، وقرأوا سورة الفتح واللطيف، وبعثوا تهاني إلى الملك مشفوعة بطلب إطلاق المساجين ورد الزعماء وتنفيذ المطالب المستعجلة والشروع في تنفيذ المطالب العامة. كما رفعت كافة الهيئات والأسواق والحرف تهاني في نفس المعنى..."³. وفي رسالة أخرى وجهها إلى الطيب بنونة، ذكر عبد الوهاب بنمنصور أن الإدارة الفرنسية أذاعت بأن احتفالات عيد العرش مرت في ظروف جيدة وهادئة، وهو أمر مخالف للحقيقة، اعتبارا لما عرفته الفترة من شد الحبل مع الوطنيين، وقال: "وقد أذاعت الصحف الاستعمارية أن يوم العرش مر على أحسن ما يكون من الهدوء والطمأنينة، وشفعت ذلك بأن ذلك اليوم هو اليوم الذي كان ينوي

1- العشاب عبد الصمد، في قلب الحركة الوطنية: مجموعة رسائل موجهة إلى الأستاذ عبد الله كنون من زعماء الحركة الوطنية ومسيريها، مؤسسة عبد الله كنون للثقافة والبحث العلمي، مطبعة دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 2009م، ص. 18.

2- داود حسناء، الرسائل المتبادلة...، م. س، ص. 109.

3 - وثائق أبي بكر بنونة، وثائق حزب الإصلاح الوطني محاضر ومراسلات، المجموعة 4، وثيقة رقم 3045، رسالة مؤرخة في 15 نونبر 1937م، موجهة من عبد الوهاب بنمنصور إلى عبد الخالق الطريس.

ذ. جواد الفرخ

فيه بطل الثورة المغربية محمد علال الفاسي قلب نظام الحكم والاستواء على عرش الريف "كذا" ...¹

ونشرت لجنة الاستخبارات والدعاية للحزب الوطني، على إثر العراقيل التي تعرض لها الوطنيون بفاس أثناء تخليد عيد العرش لسنة 1937م، بيانا بعنوان: الحكومة الحامية تحارب العرش، ونصه كالتالي:

"بيان رقم 11: الحكومة الحامية تحارب العرش

قلنا في بياننا أن الدولة الحامية تحارب مشروع الاحتفال بعيد العرش المغربي، واتخاذ هذا اليوم عيداً رسمياً للمغاربة، واليوم نبرهن على هذه الدعوة بما وقع أخيراً:

1. هتف شباب وسط جمع حاشد من المحتفلين بالعيد بحياة ملك البلاد المحبوب، وبحياة ولي عهده أمير الأطلس، فألقت الإدارة الفرنسية القبض عليه، وسبق إلى السجن، بعدما كادت روحه تزهر لشدة ما لقي من الأعوان. وفي الغد مثل أمام المحكمة، وبمحضر الجنرال بلان حاكم فاس العسكري، حكم عليه بثلاثة أشهر، يقضيها رهيناً في السجن، عقاباً له على هتافه بحياة الملك وإظهاره عواطفه نحوه.

2. بعث بعض إخواننا برقية إلى جلالة السلطان، يهنئونه فيها بمناسبة عيد جلوسه على كرسي الإمبراطورية الشريفة، مشفوعة بطلب العفو عن المعتقلين وتنفيذ المطالب الخاصة والعامة، فأوقفته² الإدارة العسكرية وحكمت عليه³ بالسجن سنتين.

3. أرسل جماعة من إخواننا منهم بعض أفراد العائلة المالكة عريضة هناؤا فيها صاحب الجلالة، متمنين له كل سعادة وهناء، فاستدعتهم الحكومة وهددتهم إن عادوا لمثل هذا.

وبعد كل هذه الأعمال السيئة التي تقوم بها الإدارة إزاء إخواننا تدعي أنها تعمل على حراسة العرش وحفظ كيانه...لجنة الاستخبارات والدعاية للحزب الوطني بالمغرب¹.

1 - وثائق أبي بكر بنونة، وثائق حزب الإصلاح الوطني محاضر ومراسلات، المجموعة 4، وثيقة رقم 3050، رسالة مؤرخة في 24 نونبر 1937م موجهة من عبد الوهاب بنمنصور إلى الطيب بنونة.

2 - المقصود فأوقفته.

3 - المقصود عليهم.

1 - وثائق أبي بكر بنونة، وثائق حزب الإصلاح الوطني محاضر ومراسلات، المجموعة 4، وثيقة رقم 3039، البيان رقم 11 الصادر عن لجنة الاستخبارات والدعاية للحزب الوطني بعنوان: الحكومة الحامية تحارب العرش.

ذ. جواد الفرخ

لقد شكل عيد العرش تحولاً في الوعي السياسي للنخبة المغربية، وكان قراراً سياسياً حكيماً للشبيبة الوطنية، وابتكاراً جديداً منح للشعب المغربي مناسبة وطنية سنوية، يتذكر فيها هويته وأمجاده، ويعبر عن ذاته وتطلعاته. وأصبح الاحتفال بالعيد، مع مرور الوقت، ترجمة حية للفعل السياسي الوطني المواجه للاستعمار، والممانع لسياسة الحماية الفرنسية بالمغرب، بل "إن إقرار الاحتفال بهذا العيد، كان ترجمانا لشكل جديد في معنى الدولة لدى النخبة المغربية حينها. الدولة في وحدتها الجغرافية، وأيضا في وحدتها السياسية، من خلال ما يرمز إليه الجالس على العرش من عنوان للسيادة. وهو القرار السياسي الذي جاء ليرد على مخططات استعمارية فرنسية بالأساس، كانت تهدف إلى تقويض الوجود الدولي القائم بالمغرب، من خلال محاولة فرض قوانين تنظيمية، تلحق المغربي بالفضاء السيادي الفرنسي، تماما مثلما كان عليه الحال بالجزائر..."¹. وكان أيضا، كما جاء عند محمد بن الحسن الوزاني، "نقطة تحول في سير حركة المعارضة السياسية لنظام الاستعمار باسم الحماية الزائفة، كما كان بداية تطور جديد في الكفاح الشعبي في سبيل الحرية والخلاص..."².

¹ - العسبي لحسن، "قصة عيد العرش بالمغرب"، جريدة الاتحاد الاشتراكي، 28 يوليوز 2012م.

² - الوزاني محمد الحسن، حرب القلم، الجزء 1، م.س، ص. 97.

جهود أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس - أعزه الله - في التعاون المغربي الإفريقي

ذ. حمادي شرف الدين

رئيس المجلس العلمي المحلي لطرفاية

إن حافز أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أعزه الله لمتابعة سنة سلفه الأكرمين عليهم رضوان الله ورحماته، والاعتناء والتأسي بخير الأعمال محبة وإخلاصا لتطلع الشعب المغربي وللشعوب الإفريقية بل والأمة الإسلامية ما يرد وما يعرض من قضايا تهم راهن الأمة، خاصة في هذه العقود التي أصبحت فيها الحقائق الشرعية والمواقف المنبثقة عنها بحاجة إلى جهد جهيد من العلماء كشفا وتصحيحا وتأصيلا، وإشاعة وعي بين الناس ومن ضللهم الإعلام المغرض أو التأويل المبطل أو مجرد الحقد الأعمى والحسد على النعمة والتوفيق.

وبهذا الصدد، اخترت موضوعا قديما جديدا. قديما لأنه واكب نور النبوة وإقبال هذه الربوع الطيبة على الإسلام، وجديدا لأنه بفعل حذب جلالة الملك محمد السادس على حل مشاكل القارة وسعة أفق جلالته في تناول قضايا المغرب وإفريقيا على مختلف أصعدتها وتشكلاتها

وفي هذا السياق، فقد انطلقت من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات لأسلط الضوء على تفسيرها في سياقاتها المباشرة من هذه السورة، لأنفذ منها إلى موضوعنا والوقوف عند حرفية النص وظاهره. ولذلك قال علماؤنا الأصوليون إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص الأسباب.

ومنها أن كلام الله معجز، بمعنى بقاء النص القرآني مصدرا لاستنباط العلماء حسب حاجتهم وتطوراتهم إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

وربط آيات سورة الحجرات بما اعتاد الكثير من المفسرين الوقوف عنده من معانيها البسيطة المرتبطة غالبا بأسباب نزولها على صحة ذلك ومصادقيته تحجيم للنص القرآني عن التفصيل والتزليل إذا توفرت للمفعل والمنزل أدوات ذلك،

ذ. حمادي شرف الدين

ومنها شهادة كل من سيدنا عمر وسيدنا علي وسيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أن القرآن حمال أوجه. وليس مرادهم إغراض في التأويل أو تكلف ما لا يحتمله النص تبعاً للأهواء والإيديولوجيات وإنما قصدهم وقصد من سلك هذا المسلك من العلماء والمستبطين تثوير معاني القرآن لتستجيب للحاجيات والمستجدات.

وكل اجتهادات الأصوليين في مسالك العلة خاصة تتبني على ذلك، وقد استتبط إمامنا مالك رحمه الله جواز إدراك الصبح على المسلم الصائم جنباً من قوله تعالى: "وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر".

وإذا وضعنا في الاعتبار كون سورة الحجرات المدنية بالاتفاق من أواخر السور نزولاً، أدركنا أن ما فيها من تشريعات تتجاوز حدود ما كان خلفها من أسباب النزول إلى تخطيط حياة المسلمين عامة أفراداً وجماعات، أنظمة ودولاً على مدى الدهور ودليلنا على كونها من أواخر ما نزل وأنها واكبت إقبال القبائل لتتضوي تحت لواء الدين الحنيف في عام الوفود وهو السنة التاسعة من الهجرة، ذكر أسماء أعلام ورد في تراجم الصحابة إسلامهم آنذاك مثل الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وهما من المؤلفة قلوبهم، فقد أعطاهما الرسول صلى الله عليه وسلم من غنائم هوازن بعد الفتح ما أغاض العباس ابن مرداس وهو من أمثالهما فقال:

أتجعل نهبي ونهب العبيد	بين عيينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس	يفوقان مرداس في مجمع
وقد كنت في الحرب ذا تدرئ	فلم أعط شيئاً ولم أمنع
سوى ما أبا عز أعطيتها	بعد قوائمها الأربع

فقال عليه السلام اقطعوا عني لسانه فأكملوا له المائة.

وكل من عيينة والأقرع معني ببناء رسول الله: يا محمد اخرج إلينا ونزول قوله تعالى "إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون" كما ورد ذكر عتاب بن أسيد وهو من الطلقاء، وقد استغرب أن يعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بلال ثم إلى أبي محذورة بعد ذلك بمهمة الأذان ورفعته على ظهر الكعبة بعد الفتح ونزول قوله تعالى: "إنا خلقناكم من ذكر وأنثى" وما فيها من إقرار التفاضل بالتقوى لا بالآباء والأنساب.

كل ما قيل بصدد الأسباب والمعاني المباشرة حول تسمية السورة بسورة الأخلاق والآداب كما سماها المفسرون، وهم محقون وأحب أن أطلق عليها سورة التمدن والحضارة، ذلك أن مدلول التمدن والحضارة فهمه علماءنا أدق فهم حتى قالوا من باد جفا وهم يعلنون أن الحضارة إحساس بالغير وبذل الجهد لراحته وإعانتته على مطالبه بل وإيثاره على النفس، ونصوصنا غير منتهية كثيرة في هذا المجال.

ورب متمتع بأحدث التقنيات العصرية يعيش في بادخ ناطحات السحاب ويتنقل عبر مراكب ومطايا غاية في التطور هو من الحضارة أبعد ما يكون بانطوائه على نفسه وتضحيته بالعالم كله من أجل تلبية أغراضه ونزواته. وما التوحش والحيوانية غير ذلك مع ما عليه كثير من الحيوانات من انضباط غريزي أين منه صلف وطفغان كثير من دعاة الحضارة.

وأول ما تستهل به السورة حسب هذا التوجه هو محاكمة كل الأفعال إلى شرع الله ورسوله، فما وافق ذلك بورك وما خالفه تورك، ولسنا نرى فيها لا حذفًا ولا زيادة. لا حذف مفعول تقدموا بدليل قراءة الإمام يعقوب، لا تقدموا. ولا زيادة اسم الجلالة قبل رسوله، إذ شرع الله واحد والسنة والكتاب متضافران.

وثبت بقاعدة متممة لسابقتها عبرت عنها برفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، ولعل المقصود تجاوز تعاليمه وشرائعه.

والجهر كناية عن تمادي العبد في المخالفة وتعدي الحدود. وقد استتبط الأئمة من هذا الجزء من الآية علو مقام النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وتعاليمه وعلو قدر ذاته حيا وميتا، بل وعدوا الإجلال والتقدير إلى خلفائه من ولادة الأمر الذين يستمدون مهابتهم وإجلالهم واستحوادهم على قلوب رعيته من وحي النبوة الساري في خططهم حتى لقد صح فيهم قول القائل:

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم تغني الشريف عن الطراز الأخضر

وانتقلت السورة إلى قاعدة ذهبية حبذا لو صرفت كل جهودنا في عالم اليوم إلى غرس قيمها في كل أفراد المجتمع. وهذه القاعدة ممثلة في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا" وفي قراءة "فتثبتوا".

ذ. حمادي شرف الدين

ذلك أننا أصبحنا في زمن اخترقت فيه حدود البيوت والأسماع، وما تكرر على الأسماع كان أدعى إلى أن يتقرر. والحرب الإعلامية ضد المسلمين بلغت أوجها بترويج كل ما يشكك غير المحصن في مسلماته ومقدساته سواء الدينية أو الوطنية وهما متلازمتان، وهو ما يزيد من مسؤولياتنا في مجالسنا العلمية ومؤسساتنا التربوية وكذا الإعلامية في مواجهة كل ذلك بأسلوب الحكمة، وهو البيان والشرح والتأصيل وتحديد المخاطر والمزالق، بعيدا عن التصريح وأسلوب المواجهة والتجريح.

ولجلالة الملك محمد السادس نصره الله كبير الفضل في هذا المجال بدعم القنوات المتخصصة سواء الوطنية أو الجهوية كقناة محمد السادس للقرآن الكريم أو السادسة أو الإذاعات والقنوات الجهوية التي نرى أن تثري المتابع بعرض تفصيلي، خاصة بث الندوات العلمية التي يقوم بها العلماء بشكل تفصيلي، لا مجرد لقطات إخبارية وأن الجهود المبذولة فيها كبيرة وحرص جلالته على وصول مضامينها في الباب إلى كل رعاياه، يدعو إلى التعميم وعدم الاقتصار على فئة المستفيدين المباشرين.

وألحقت هذه القاعدة بأخرى دستورية لم أقف على من ذكرها أو نوه بها غير ما تعلق بتأويلها وهي قوله تعالى: "وَلْيَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لِيُطِيعَكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنَتُمْ". وأرى والله أعلم أن مجمل دساتير العالم تستوحي من هذه القاعدة القرآنية وتستنبط منها، سواء تنازل فقهاء القانون الدستوري وصرحوا باستفادتهم منها أو تعالوا على طبع كثير من نكرة الفضل، فنسبوا الاجتهاد فيها لأنفسهم:

وهذه القاعدة الدستورية تمتع ولي الأمر بخاصية الترجيح للكفة عند اعتدال الأصوات مثلا أو امتلاك القرار الأخير بعد إدلاء كل الهيئات التي تعمل تحت إمرته بالنظر والرأي، فهي مؤسسات استشارية في الحقيقة وآراؤها لا ينبغي أن تلزم ولي الأمر بشيء يرى مصلحة الأمة في غيره، والأمر منطقي ومسلم فإن من تنتهي إليه كل الخيوط وتجتمع عنده كل الآراء وتوضع أمامه كل التحاليل السياسية والاستخبارية والعسكرية والاقتصادية وما سواها جدير بامتلاك أوجه نظر وأسدى قرار.

والآية توجه إلى هذه الحقيقة بشكل ملفت للانتباه: "لَوْ يَطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنَتُمْ".

إلا أنه من المهم لفت الأنظار هنا إلى حقيقة وهي أن ولي الأمر المسلم تحكمه أنوار التنزيل وحب الإيمان وكراهية الكفر وعصيان الشرع، في حين قد يكون حق الفيتو الذي تتمتع به بعض الرأسات منفذا لتغليب مصالح لوبيات معينة، وما أكثر ما جرب العالم من ذلك.

وعرجت السورة بعد ذلك على علاقة المسلم بأخيه وأمانته في حل النزاعات والخصومات، سواء بين الأفراد والجماعات فقال سبحانه: "ولن هائفتان من المؤمنين أقتتلن فأصلحو بينهما". ورسمت دستور حل الخلاف بالبداة بالصلح وتقريب وجهات النظر والكلمة الطيبة، تدرجا إلى الحيلولة بين المتقاتلين بأساليب الفصل والأرض الخالية من السلاح، وانتهاء بحرب الباغي الظالم.

وكم تذكر الأمة المغربية بفخر واعتزاز إقدام المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله وطيب ثراه على كلمة إصلاح بين دولتين شقيقتين تقعان على نفس المسافة من قلبه الشريف، فكان لتلك الكلمة المؤثرة المذكرة بالله وبحرمة الشهر الفضيل وبالأخوة والجوار أكبر تأثير على الأحداث، أدى إلى حل النزاع قبل وصول وسطاء الخير أو السوء.

كما أنه رحمه الله فعل مدلول الآية بالحضور الفعلي لقواته المسلحة التي شهد لها العالم كله في مواطن النزاع بأفريقيا وغيرها بالفعالية والدور البارز، سواء في الإغاثة أو الدعم أو الفصل بين المتنازعين أو الحيادية، ولم يسجل بصددها والحمد لله أي خروج عن هذه القاعدة الذهبية.

وأرشدت الآية الموالية لها إلى ما يستبعد الشنار والقطيعة بين جماعات المسلمين وفرقاتهم من الهمز واللمز والتنازع بالألقاب والتجسس والغيبة بمعناها الواسع هنا، وهو الاستماع إلى وساوس المبطلين بتسويد صورة الجار فردا أو دولة، ونقل الأخبار الكاذبة إلى جاره بقصد بث الرعب في قلبه وتخويفه من أخيه بنية التسليح ضده أو توجيه إدراكه إلى رعب مفتعل من الأطماع والسياسات المناوئة.

فالسورة مرتبطة آياتها وفقراتها بشكل عجيب وتسلسل رباني بديع، لتصل تلك التعاليم إلى آية انطلاقنا من قوله تعالى: "يأيها الناصر إننا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير".

لقد كانت قيم هذه السورة وآية الانطلاق بصفة خاصة وراء كل الأحداث والفتوح ونشر الإسلام والعقيدة الصحيحة في ربوع الأرض ومشارقها ومغاربها.

ذلك أن التنصيص على أصل الخليقة الواحد، خلقناكم من ذكر وأنثى، ولد التشبع بالأخوة الإنسانية الداعية إلى تعدية مشاعر التراحم إلى من سوى العرب المسلمين من الأعراق والجنسيات لينعموا بما نعم به المسلمون من نعمة توحيد الله عز وجل وتخليصهم من عبودية من سواه، ولا حصر لهذا السوى ولا نهاية.

كما دعتهم هذه الأخوة إلى عدم احتكار العلم وقرصنة المعلومات أو تصفية أصحابها في أفق استخدامها لاستعباد الشعوب ونهب ثرواتها.

فقد كان دأب جيوش الفتح وقادة الجند، إقامة مدارس العلم وزواياها إلى جنب مساجد العبادة ومقرات الخطط الشرعية، ولا أدل على هذا أن كثيرا ممن نبغوا في علوم الإسلام كانوا من غير العرب الفاتحين، والظن راجح أنه لو لم تسد هذه الروح التي عممتها الآية وسهر على تطبيقها ولاية أمر المسلمين ومن يحفهم من العلماء لما كان لهؤلاء الفحول في مجالات العلم والمعرفة أن يغادروا شرنقة بيئتهم وجهتهم ولغتهم. ولما أبدعوا بلغة القرآن في آسيا وفي إفريقيا التي تطالعنا بأسماء أعلامها وفقهائها من أمثال أحمد بابا التمبكتي والأيسكي والمختار الكنتي وسواهم كثير.

كما دعتهم روح الآية إلى توسيع دائرة الحريات في الاتباع والانقياد للدين الجديد لتكون القناعات وراء الاختيار وليس الإرغام والقسر والبطش.

وأود هنا أن أنوه بحقيقة يجعلها البعض مثار تنقيص وهي مدعاة احترام وتقدير، ذلك أن المصادر التاريخية تحكي ارتداد الأمازيغ وسكان شمال إفريقيا عدة مرات ويجعلون هذه الحقيقة موضع تنذر، والصواب أن تكون داعية إلى احترام هذه الشعوب التي لا تتقاد بسهولة إلا لما يخالط بشاشة قلوبها من الحق واليقين، وأن نير الحرب والسلام لا تجدي معها نفعا وأنها لما أدركت حقيقة هذا الدين، كانت هي برجالها وأبطالها من يحمل رايته إلى بقية البلاد. فهذه جيوش الفتح الإسلامي إلى الأندلس يقودها طارق بن زياد بطل مغربي من السكان الأصليين.

وهذا إبراهيم بن يحيى الكدالي يسعى في رجوعه من رحلة الحج لإعادة الروح الدينية والاستقامة إلى ربوع السوس الأقصى فلا يجد إلا مغاربة أصليين: وجاج بن زلو وعبد الله بن ياسين بإشارة من أبي عمران الفاسي نزيل القيروان ودفينها رحمهم الله أجمعين.

ثم يستتجد مسلمو الصحراء والبلدان الواقعة جنوبها بأمر المرابطين أبي بكر بن عمر رحمه الله فيدعوه الواجب الديني إلى التخلي عن عرشه وزوجه زينب النفزاوية، بل لم تكن الجيوش وحدها وفود الشمال الإفريقي إلى ما وراء صحرائه وإنما كانت هذه الجيوش حماية لكلمة الله وضمانا لحرية الإرادة والمعتقد.

لقد تمثلت قيادات هذه الأمة معنى كلمة (لتعارفوا) في الآية الكريمة، فلا يقف المعنى عند الحدود التي رسمها بعض المفسرين وهي لا تتجاوز التعارف البسيط المبين للأنساب والأعراف وهو وإن كان معنى مرادا في الآية إلا أننا نرى أن السياق يقتضي أكثر من ذلك. فلتعارفوا فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد اللام وقد حذفت إحدى تاءيه تخفيفا كقول ابن مالك:

وما بتأين ابتدي قد يقتصر فيه على تا كتين العبر

ولعل التخفيف فيه مطلوب مقصود مناسب تماما لما يراه بالكلمة من إحياءات مدارها على التخفيف على الناس ببدل المعروف أو تبادل المعروف معهم إذ الفعل هنا من أفعال المشاركة الناطقة بحاجة الجميع إلى جهد وتعاون الجميع.

وهكذا شاركت الشعوب الإسلامية والدول الإسلامية ومنها دول هذا البلد الغالي الذي تعاقبت على حكمه شعوب أخرى مفتوحة استغلال الثروات وتنمية البلاد المفتوحة وإدارة الأموال المكتسبة بين أيدي أهاليها وإعانتهم على حسن استثمار ما تنعم به من خيرات.

والتاريخ يذكر أن بلاد الغرب الإفريقي وجنوب الصحراء عرفت رخاء لم يسبق له مثال ممثلا في تسيير قوافل تجار هذه البلاد بين الشمال والجنوب والشرق والغرب. فطريق الملح والأثواب ماثل حتى الآن ولا تزال بأطراف بلادنا السعيدة آثار مصانع صهر الذهب الإفريقي الذي أثرى بلادا منتجة كمالي حيث حولها إلى مقصد عالمي للعلم بما اجتمع فيها من خزائن المخطوطات والجامعات، والمال بما عرفته من رواج تجاري منقطع النظير، مداره الذهب المستخرج بأيدي أفريقية والمسبوك بخبرات مغربية، وعمران بما عرفته تلك المناطق من قصور وقلاع ومخازن غلال لها أنظمتها الدقيقة المستمدة من الدين والأعراف وقوانين ما عرف بالألواح كألواح جزولة على سبيل المثال.

ولولا روح الآية لما تتسم ذلك العالم نسمات ذلك الازدهار أين منه ما سلكه الاستعمار الأوروبي في أقاليمنا الصحراوية من خراب ونهب للثروات واستحواذ على الخيرات وتحويل

ذ. حمادي شرف الدين

السكان إلى أدوات إنتاج لا ترقى إلى مستوى البشرية وشواهد هذا الظلم لا تزال ماثلة في دور ما يعرف بـ: (نص برميل) المخصصة لإقامة الصحراويين الأدنى في نظر الاستعمار من الحيوان، وذلك قبل أن تتعم هذه الجهات على يد جلالة المغفور له الحسن الثاني من ازدهار ورواج وعيش كريم.

إن التماهي هو طابع العلاقة بين المغرب الأقصى على الخصوص وبين بلدان إفريقيا التي يطلق عليها في أدبيات ومصنفات علمائنا ببلاد السودان منوهين على دخول دولة السودان الحالية ضمن هذه المجموعة التي تزيد على 15 بلدا أفريقيا بدليل زاوية أحفاد الإمام زروق الفاسي بأم درمان وكون أول رئيس سوداني من أصول مغربية على حد علمنا وكون مقارئ دارفور محضن قراء السودان يغلب على حفاظها منهج المغاربة في الإقراء، ناهيك عن القراءة بورش أولا ثم قالون فالدوري. هذا التماهي حير أذهان المهتمين ليجدوا فاصلا ما بين الثقافتين فلا يجدون إلا الاتحاد. ولولا حفظ الأنساب لما تميزت كتابات هؤلاء الأعلام الأفارقة عن كتابات نظرائهم المغاربة.

ففي مجال المذهب تنتهج هذه الربوع كلها مذهب الإمام مالك، بل إن إسهام أحمد بابا التمبكتي في حفظ تراجم أعلام المذهب من الأفارقة وعلماء التكرور يعد واحدا من المصنفات التي يكتمل بها فقه الفقيه لما احتواه (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) واختصاره (كفاية المحتاج) مضافة إلى العشرات من مصنفاته من فتاوى ومواقف وآراء وإشارات تاريخية لطيفة للباحث في علاقات الأمة الإفريقية الواحدة، وكذلك الأمر يقال في (فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور) للطالب محمد الولاتي و(الوسيط في علماء شنقيط) الذي يضم طرائف منها على سبيل المثال المساجلات العلمية بين علماء شنقيط وآخرين من مجلس سيدي محمد العالم بن السلطان مولاي إسماعيل بتارودانت، طيب الله ثرى أسلاف مولانا أمير المؤمنين جميعا.

ومن تلك المساجلات الطريفة سؤال ابن رازكة عن سر تكرار قول الله تعالى في سورة يوسف (وعاء أخيه)، ومطلع السؤال كما في الوسيط:

شيوخ البيان الذائقين حلاوة من العلم لم تدرك لغير ذويه

ويدين جموع هذه المناطق بعقيدة أهل السنة على ما عليه الأشاعرة حاملو لواء السنة معتمدين على مصنفات مغربية في مقدمتها السنوسيات كلها وجوهرة اللقاني بعد عقائد الرسالة وابن عاشر.

ويقرأ الجميع كتاب الله بقراءة الإمام نافع بطرقها المختلفة ورواياتها جاعلين القراءة الرسمية على رواية ورش.

بل إن أسانيد هذه الجهات تشتبك وتتمر كلها على أعلام المدارس المغربية في الإقراء مثل الحبيب اللمطي ومحمد بن عبد السلام الفاسي وعبد الرحمان القاضي والمنجرة وأبيه وابن غازي واللائحة تطول. ويشهد صاحب صبح الأعشى - القلقشندي - أن أهالي هذه المنطقة إنما يكتبون بكتابة المغاربة وعلى طريقتهم في رسم وضبط المصاحف.

كما أن قراءاتهم وعلومهم توثق بإجازاتهم المتبادلة بينهم وبين علماء المغرب ومن ذلك ما قرأناه في (الفوائد الجمة) لعبد الرحمان التمنارتي من إجازة أحمد بابا له ولغيره من الشيوخ، وإجازته لابن القاضي صاحب درة الحجال الذي تبادل معه المشيخة والإجازة. وابن القاضي هذا هو المؤرخ وابن عم ابن القاضي المذكور في الفقرة السابقة الذي هو من أعلام مدرسة الإقراء بالمغرب والغرب الإسلامي عامة.

كما نجد في أدب الرحلات ومعظمها لا يزال مخطوطا سجلا ضخما لتقلات العلماء من وإلى بلاد المغرب واستقرار بعض العلماء في إفريقيا للعطاء العلمي والقضاء والفتوى أو التجارة والعمران حتى صدق قول السعدي في تاريخ السودان ص 21 عن هذه الجهات: (ولم تأت العمارة إلا من المغرب لا في الديانات ولا في المعاملات). وهذه شهادة على أن ما يحمله المغاربة إلى هذه الربوع هو البناء والحضارة، ومن تلك الرحلات رحلة إبراهيم بن عبد الجبار الودغيري الفجيجي ورحلة الشيخ القصري الفاسي ورحلة المشتراي.

كما أن من صور التماهي وحدة الأمهات المعتمدة في التعليم من هذه الأقطار وانتشار طرق التصوف السنية التي يعتز المغرب بصدور أقطابها أو مرقدتهم على ثراه الطيب، ثرى الصالحين ورجال الله، مما يكسب هذه البلاد قداسة خاصة ويجعلها محجا سنويا لمريدي هذه المناهج الربانية في السلوك.

ذ. حمادي شرف الدين

إن الجهود التي يبذلها مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أعزه الله، والطاقت الكبيرة التي يستثمرها في إفريقيا، لهي نتيجة وعي ديني تشبع به كما تشبع به سلفه، تجاه قارة هي امتداد تاريخي وسياسي وثقافي للمملكة المغربية لا يسع غير التناغم مع مقتضياته، خاصة وأن الدول اليوم لم تعد قابلة للعيش ضمن حدود مغلقة، بل لم تعد للدولة العصرية حدود إذا لم تؤمن مصالحها المتشعبة بعري التعاون والتكامل مع دول أخرى، تشاركها القناعات فالمصالح فالاستمرار في الوجود.

وقد أدرك جلالة الملك محمد الخامس تغمده الله بواسع رحمته هذه الحقيقة، فكان رحمه الله من زعماء تحرير القارة الإفريقية وقادتها إلى الاستقلال.

كما كان لوريث سره المنعم جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه الدور نفسه في إكمال مسيرة استقلالها، وإنشاء منظماتها القارية والإقليمية، وبناء صرح الاستقلال بالعمارة والمؤسسات والمنشآت.

وكم نشعر بسعادة غامرة ونحن نجد ذلك الولاء الدائم لشخص جد ووالد أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس كما نجده لشخصه الكريم، لا أقول عند الزعامات الدينية والثقافية التي نجتمع بها، بل عند بسطاء الشعب وعامته، إذ يعبرون بقولهم ملكنا محمد الخامس أو الحسن الثاني أو ملكنا محمد السادس، وهي مشاعر ولدها ذلك التماهي الذي تحدثنا عنه رغم محاولات المنافسين محو تلك الصورة الجميلة من الأذهان، وأنى لهم ذلك.

ومما يبشر بنجاح مساعي مولانا أمير المؤمنين محمد السادس بعد توكله على الله، أنها تضع اليد على مكان من الخلل في القارة فيرأب صدعه ويصف الدواء للأدواء التي تعصف بالقارة كالأمراض المزمنة والمخدرات والفقر والهشاشة، مضافة إلى دواعي الهجرة والإرهاب، وأن تعاطي جلالته مع هذه المشاكل يتجاوز المقاربات الأمنية قصيرة الأمد وغير الناجحة كثيرا إلى المقاربات الجذرية المتمثلة في اقتلاع جذور المشاكل لا معالجة أعراضها.

ففي المجال الديني تأسى مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس بسلف الأمة الصالح بأن تكون المساجد وعمارتها أولى خطوات التقارب لما تختص به دور العبادة في شعوب إفريقيا من تأثير بالغ، لاسيما زوايا التصوف السني المحرك الحقيقي والفعال، لا للمشاعر فقط، بل لاتخاذ المواقف ضد الأخطار والانحرافات.

ومما يجدر التنويه به في هذا الصدد، ملء الفراغ في مساجد دول جنوب صحرائنا من المصاحف بإمدادها بملايين من المصحف المحمدي المبارك.

ذ. حمادي شرف الدين

وغير خاف على الجميع ما لهذه الخطوة من أهمية، ذلك أن المصحف المغربي الذي افتقدته القارة لعقود، عنوان وحدة شاملة في المقرئ والمنهج واختيار مذهب أهل المدينة، الذي احتضنته الأندلس ونقله الإمام الداني، يدعم وحدة المذهب الفقهي والعقدي والسلوكي. ويتغلغل في تربية الناشئة وشخصياتهم، بما يمتاز به المصحف المغربي من أنظمة وأصول مؤثرة، وإن كان لا يدركها إلا جهاذة المتخصصين.

وقد تنافست الدول في هذا على ما يبدو للناظر البسيط من عدم خطورة الموضوع، فلقد لاحظنا أنه في العقود التي تخلفت أو تراجعت فيها المدرسة المغربية في الإقراء، وافتقدت فيها مصاحف المغرب شغل الفراغ بتوجيه آخر، وإن كنا لانفتاحنا عبر القرون لا نعارضه، إلا أن مقتضيات الوحدة والاستمرار تدعو إلى التمسك بالموثوث وحماية مناطق الإشعاع والنفوذ، وقد انعكس ذلك الفراغ على أداء شباب هذه المناطق وحفاظها سواء في الطبوع التي غابت عنها الأصول أو الكتابة التي كانت عبر القرون، كما شهد بذلك المؤرخون على الطريقة المغربية التي يرسخها المصحف الشريف إلى طبوع أو تقليد طبوع أو خطوط هي أبعد ما تكون عن ضوابط المغاربة المنسجمة مع بقية العلوم والأصول.

أما مع إعادة نشر المصحف المحمدي الشريف فإن الأمور بدأت في العودة إلى المعين. فعلى صعيد طبوع أداء القرآن التي كانت تحتل مقام أعلى واحد من بلاد السودان الحالية إلى المحيط الأطلسي، وهو مقام الحنين وشوق الصوفيين إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ممثلاً في الخليفة السودانية، أو العاصمة في ليبيا وتونس والجزائر، أو الحسانية في صحرائنا الغالية، أو الطبوع الأخرى في المغرب كالفيلالية والجبيلية والحوزية والسوسية.

ولم تقف هذه الجهود المباركة عند هذا الحد، بل تطلع شباب هذه الدول ومسؤولوها إلى الاستفادة من تجربة البلاد في تدبير الشأن الديني، بتطوير مفهوم العاملين فيه وتحسينهم ضد ما يهدم تشبثهم بقيمه واعتداله وسماحته، فأذن مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس لهم بالالتحاق بالمؤسسات الناجحة عندنا من تعليم عتيق ومعهد تكوين الأئمة والمرشدين والمرشدات، الذي أصبح بفضل جهود عشر سنوات من عطاء إداراته المتعاقبة وأساتذته السابقين والحاليين متتورين بتوجيهاته السديدة منارة مرموقة وقبلة مقصودة.

ودعم جلالته مؤسسات أخرى أقامها والده المنعم بأخرى ترعى توجهه وتترجمه إلى حركية وعطاء ممثلة في مؤسسة علماء المغرب وأفريقيا.

ذ. حمادي شرف الدين

أما في الجانب الاقتصادي الذي هو ضمان تواصل عطاءات الفكر والثقافة وربط الشعوب بمصالح سريعة ملموسة، فقد انبنى في سياسة مولانا أمير المؤمنين على منقبة عظيمة، وهي الانتفاع المشترك بين المغرب وهذه البلاد بخيرات الطرفين انتفاعا يقضي على الفقر والانعواء تحت ألوية الجماعات المصنوعة، وذلك لعمري الدواء الناجع للأدواء والحل الأمثل للمشاكل، والترقب المتفائل للمستقبل.

مقالات داعمة

ورقة عن إصلاح التعليم الديني بالمدرسة المغربية

ذ. مصطفى بنحمزة

رئيس المجلس العلمي المحلي، وجدة

أصدر الديوان الملكي بلاغا أعلن فيه أن جلالة الملك محمد السادس أصدر تعليماته إلى وزير التربية والتعليم ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بضرورة مراجعة برامج التربية الدينية ومقرراتها بالمدرسة المغربية العمومية وبالتعليم الخاص وبمؤسسات التعليم العتيق، في اتجاه إعطاء أهمية أكبر للتربية على القيم الإسلامية السمحة، وفي صلبها المذهب السني المالكي الداعي إلى الوسطية والاعتدال، وإلى التسامح والتعايش مع مختلف الثقافات والحضارات الإنسانية.

وبعد صدور البلاغ تناول موضوع الدعوة إلى إصلاح التعليم الديني أشخاص عديدون ومنابر كثيرة لم تمنح نفسها وقتا كافيا لفحص الدعوة، وإنما عبرت في الغالب عن رؤى قبلية لقضية وجود التعليم الديني ضمن المقررات التربوية. والحالة أن الموضوع لا يمكن استسهاله، ولا الحديث فيه انطلاقا من تصورات ذاتية لا تستحضر أهمية المادة الدينية في التركيبة الذهنية المغربية، وفي حماية المجتمع من الوقوع في مهواة التطرف والعنف، كما أنها لا تتوقع التداعيات التي يمكن أن تترتب عن الخطأ في التقدير وفي التصرف.

وإذا كان هناك من قضية هي في حاجة إلى المقاربة الجادة التي يمكن أن يقدمها الخبراء والعارفون، فإن قضية إصلاح التعليم الديني تأتي في طليعة القضايا ذات الأولوية، والمطلوب أن يقدم من يتحدث في إصلاح التربية الدينية تصورا مسنودا بأدلتة من الواقع ليسهل الاتفاق والالتقاء عليه.

وفي هذا الإطار فإني أقدم إسهاما يتناول قضايا محددة أضعها بين يدي كل من يشغله أمر إصلاح التعليم الديني، وكل من هو منخرط فعلا في العملية الإصلاحية من أعضاء اللجن المكلفة بها، على أساس أنها لا تعدو أن تكون مساعدة على تكوين تصور عن الإصلاح، واضعا في الاعتبار أن قضية إصلاح التربية الدينية هي من الوجهة الدستورية من اختصاص إمارة المومنين التي يعود إليها أمر الحسم الرسمي في قضايا الشأن الديني، ومن ضمنها التعليم الديني حسبما تنص عليه الفقرة 5 من الفصل 41 من الباب الثالث من دستور 2011م.

أولاً: سياق دعوة أمير المومنين إلى إصلاح التعليم الديني.

من أجل بلوغ فهم صحيح لبواث الإصلاح التربوي ودواعيه الآنية، فإنه يتعين تبيئته ضمن مسلسل طويل لإصلاح التعليم الديني عرفه المغرب وخطا فيه خطوات عديدة في عهد أمير المومنين محمد السادس، وخطا قبل هذا خطوات أسبق غطت كل مراحل تاريخ المغرب.

ومستفاد هذا أن الدعوة الحالية ليست وحيدة، ولا هي معزولة عن سياقها التاريخي، وإنما هي مندرجة ضمن سيرورة تاريخية ونسق متتابع، وهي لهذا ليست استجابة لإلحاح اتجاه معين ولا هي متماهية مع تيار خاص، كما أنها ليست موجهة ضد تيار معين، وإنما هي مقارنة معرفية لمواجهة التطرف بالأسلوب العلمي الذي يقتضيه الظرف الراهن، وتستدعيه التحولات المجتمعية، وهو أسلوب كفيل بأن يسد الخصاص ويسدد المسار، وهو لا يعول على إفراغ الخانات التي يجب أن تملأ بالمعرفة الصحيحة المتصلة بالهوية الدينية المغربية الأصيلة، لأن التعويل على اللامعرفة هو رهان خاسر وخطوة طائشة في اتجاه المجهول.

إن دعوة أمير المومنين إلى إصلاح برامج التربية الدينية تأتي امتدادا وتفعيلا لقرارات سابقة عبر عنها خطابه بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب في 20 غشت 2012م، وقد تحدث فيه عن الأعطاب الكثيرة التي أصابت المنظومة التربوية، وهو ما استدعى إصدار ظهير 16 ماي 2014م المتعلق باختصاص المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي والمتمم لظهير 30 نونبر 2007م ولظهير 10 فبراير 2000م، ثم أعقب ذلك ما عبر عنه أمير المومنين في خطاب العرش لسنة 2015م.

إن توالي الخطب والظواهر الحاملة لتوجيهات عديدة داعية إلى إصلاح التعليم الديني، هي ولا شك تعكس الحاجة الملحة إلى إصلاح منظومة التربية والتعليم المغربية.

إصلاح التعليم الديني في سياقه التاريخي

منذ زمن مبكر من تاريخ المغرب كان للملك المغرب اهتمام بالغ بمناهج التعليم ومقرراته.

إصلاح التعليم الديني في عهد الموحدين.

في العصر الموحي كان ليوسف بن عبد المومن ميل إلى الفلسفة فعمل على إحياء علومها وشجع أهلها¹.

ويذكر عبد الواحد المراكشي أن يعقوب المنصور توجه إلى تغيير مقررات الدراسة فاستبعد مدونات فقهية، كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادير ابن أبي زيد، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وأمر جماعة من العلماء بجمع أحاديث من المصنفات العشرة الصحيحين والترمذي والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي وسنن البزار، ومسنند ابن أبي شيبة، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي في الصلاة وما يتعلق بها، واعتمد في المغرب هذا المجموع واتخذ مقررا دراسيا².

إصلاح التعليم الديني في عهد المرينيين.

في الزمن المريني كان أبو الحسن المريني يعتمد كتاب الإرشاد لإمام الحرمين في العقيدة الأشعرية، وكان يقرأ بين يديه، ويعرض عما سواه³.

واتجه المرينيون إلى دعم علوم الرياضة⁴.

وفي العصر المريني اعتمدت الدراسات بعض المختصرات الفقهية والأصولية المركزة جدا، واتخذتها متونا مدرسية، ومنها على الأخص مختصرا ابن الحاجب في الأصول وفي الفقه، وقد أدخلهما سليمان اللجائي المغرب، ودرس مختصر الأصول وأخذ به الناس عنه⁵.

إصلاح التعليم الديني في عهد السعديين.

وفي زمن السعديين حقق التعليم الديني نقلة كبيرة، بعد أن أشركت البادية المغربية في نشر المعرفة في أعلى مستوياتها، وقد كان العرف في الغالب جاريا بأن تتولى البادية الاقتصاد

1 التعاشيب عبد الله كنون ص: 83 دار الكتاب اللبناني بيروت ط. 2. 1975م.

2 المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد بن علي المراكشي ص 198 دار الكتب العلمية ط 2005

3 ورقات عن حضارة المرينيين محمد المنوني ص: 154 مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ط. 3. 2000م.

4 التعاشيب عبد الله كنون ص: 83 دار الكتاب اللبناني ط. 2. 1975م.

5 ورقات عن حضارة المرينيين محمد المنوني ص: 246

د. مصطفى بنحمزة

على تحفيظ القرآن وتلقين مبادئ العلم للناشئة، لينتقل الطلاب إلى الحواضر من أجل استكمال معارفهم، لكن منطقة سوس كانت لها سابقة قديمة في احتضان العلم، فكانت مدرسة أجلو سابقة في عطائها، وقد جعل السعديون تارودانت قاعدة لحكمهم، واجتذبوا إليهم العلماء، فانتشرت مؤسسات التعليم عبر بلاد سوس، على درجة من الكثافة لم يسبق لها نظير، وكان لتلك المدارس حاضنة شعبية لها أعراف صارمة في احتضان العلم، وصار مألوفاً أن يخصص الناس ثلث أعشار الزكاة للمدرسة في كل قبيلة، وبهذا صارت سوس عالمة بكثرة المدارس التي توافرت لكل المناطق، وقد أرخ المختار السوسي لبعضها فيما كتبه عنها في كتابه مدارس سوس العتيقة، وكتابه خلال جزولة، وأثناء ترجمته للعلماء السوسيين في كتابه المعسول، وهو موسوعة ضخمة عرفت بعدد كبير من علماء سوس وأعيانها. قال عنها عبد الله كنون في تقريره لها: إن من يرى المعسول لا يشك أنه إنتاج جيل من الباحثين ومشروع تضافر على إنجازه غير واحد من العاملين¹.

ومرد هذه الطفرة السريعة إلى ما ذكره المختار السوسي من أن القطر السوسي سريع التطور في كل ميدان دخله². وقد صح ما قاله د. محمد حجي من أن العهد السعدي في سوس يمثل عصر النهضة العلمية الكبرى³.

ومرد هذه النهضة إلى أن بعض ملوك السعديين كانوا من أهل العلم، وقد تحدث الإفرائي في الفصل الخامس والأربعين من كتابه نزهة الحادي عن المستوى العلمي لأحمد المنصور، وتحدث في الفصل السادس والأربعين عن مؤلفاته⁴.

وميزة التعليم بسوس أنه ذو طابع عملي لأنه اتجه نحو تجاوز التجريد إلى التطبيق، إذ نزل العلماء إلى الواقع المعيش، وأجابوا عن أسئلة الناس واستشكالاتهم وعالجوا قضاياهم، ولذلك اشتهرت عندهم كتب النوازل والعمل السوسي، وقد ألف عنها المرحوم د حسن

1 المعسول تقرير عبد الله كنون 20/299.

2 عن فقه النوازل في سوس قضايا وأعلام د حسن العبادي ص 99 منشورات كلية الشريعة بأكادير.

3 الحركة الفكرية في الغرب في عهد السعديين محمد حجي 556/2 دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر 1976.

4 نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لعمر الصغير الإفرائي. تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي ص: 233. المطبعة الملكية بالرباط 2016م.

العبادي كتابه فقه النوازل في سوس قضايا وأعلام، وقدمه أطروحة لنيل الدكتوراه من دار الحديث الحسنية سنة 1994م.

وتميز الفقه السوسي كذلك بفحص الأعراف ودراستها على ضوء الشريعة، ومنها: ما دونته ألواح جزولة، وقد كتب عنها الأستاذ امحمد العثماني كتابه ألواح جزولة والتشريع الإسلامي دراسة لأعراف قبائل سوس في ضوء التشريع الإسلامي، وأعدّه بحثا لنيل دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية بإشراف الأستاذ علال الفاسي سنة 1971م¹.

إصلاح برامج التعليم الديني في عهد العلويين.

لعل عصر العلويين أن يكون أكثر الأزمنة اهتماما بإصلاح التعليم الديني، من أجل مواكبة التطورات الاجتماعية التي طرأت على الحياة المغربية والدولية، ومن ذلك أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان معدودا في العلماء، وكان كما يقول عنه المشرقي بحرا لا يجارى في التحقيق والمعارف²، وقد ألف نحو من ثلاثة عشر مؤلفا³. منها: الفتوحات الإلهية الكبرى والصغرى، والجامع الصحيح الأسانيد المستخرج من أربعة مناهذ وغيرها من الكتب.

وقد بذل سيدي محمد بن عبد الله جهدا في إصلاح التعليم وفي تجديد مقرراته، ولذلك جلب إلى المغرب مصادر منها مسانيد أبي حنيفة وأحمد والشافعي، ودعا علماءه إلى شرح مؤلف الصاغان في الحديث، ورتب أوقاتا لسرد الحديث.

وكان من توجيهه أن لا يشتغل طلبة العلم بقراءة المختصرات الفقهية كمختصر خليل وابن الحاجب، وأن يعودوا إلى دراسة الأمهات المبسطة⁴.

وقد قدم نموذجا للمقرر الدراسي الابتدائي في كتابه: مواهب المنان، فعرض فيه ما يتعين تعليمه للمبتدئين من أحكام الاعتقاد والفقه في أسلوب ميسر ومختصر.

1 ألواح جزولة والتشريع الإسلامي الأستاذ امحمد العثماني منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 2004م.

2 الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية محمد مشرف تحقيق إدريس بوهليلة 20/2 ط وزارة الأوقاف المغربية

3 مقدمة الأستاذ أحمد العلوي عبد اللوي لكتاب مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان. طبعة وزارة الأوقاف 1996م.

4 الحلل البهية 21/2.

ذ. مصطفى بنحمزة

وإلى جانب هذا فقد وضع سيدي محمد بن عبد الله نظاما شاملا للتدريس بالقرويين¹.

وكان المولى سليمان ممن دعا إلى إصلاح التعليم الديني، فدعا علماء فاس إلى شرح الأربعين النووية.

وألف كتباً مفيدة منها حاشية على الخرشي بشرح مختصر خليل، وكتابه في الرد على منكري جواز التجمير زمن الصوم بمجلس الحديث، وقد رتب تقليد سرد الحديث على مر الأيام خصوصاً في شهر رمضان².

وكان من رأيه أن يعود الناس إلى دراسة الكتب التي كانت معتمدة في الدراسة من مثل المختصر على الخلاف مما كان يراه سيدي محمد بن عبد الله³.

واهتم سيدي محمد بن عبد الرحمن بإصلاح برامج التعليم الديني بالقرويين، فأدمج فيه مواد مثل الحساب والهندسة والفلك⁴.

وكان للمولى عبد الحفيظ اهتمام بإصلاح التعليم وبالمعرفة، فلذلك اهتم بالطباعة، وأسس المطبعة الحفيظية مكان المطبعة الحجرية بفاس، ونشر كتباً عديدة منها: نشر البنود على مراقبي السعود لعبد الله العلوي الشنقيطي، مهمشاً بالضياء اللامع في شرح جمع الجوامع، تأليف أحمد بن عبد الرحمن حلولو، ومشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص للحسن اليوسي، ومفتاح الأقفال ومزيل الإشكال عما تضمنه مبلغ الأمال من تصريف الأفعال لمحمد بن أبي القاسم السجلماسي، وشرح نظم الخريدة في المنطق لحمدون بن الحاج، تأليف الطيب بن كيران، وفيض الفتاح على نور الأقاح في علوم البلاغة لعبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي وغيرها من الكتب¹.

1 ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية عزيز سلام ص: 64 وزارة الأنباء المغربية.

2 الحل البهية للمشرية 45/2.

3 الحل البهية محمد المشرية 45/2

4 المعرفة والسلطة ديل إيكلمان ترجمة محمد أعفيف ص: 01 مركز طارق بن زياد الرباط. 2000م

1 مظاهر يقظة المغرب الحديث محمد المنوني 291/1 الخزانة العامة للكتب ط. 2. 1985م.

لكن أكبر وأقوى مشروع لإصلاح التعليم الديني كان هو ما قام به المولى يوسف من أجل إصلاح الدراسة بالقرويين، فكلف محمد بن الحسن الحجوي نائب الصدر الأعظم في المعارف بإنجاز برنامج لإصلاح التعليم بالقرويين، وذلك سنة 1332هـ، وشكل لذلك مجلسا بعضوية عشرة من العلماء انتخبوا من بين علماء القرويين لتشكيل هذا المجلس الذي سمي بالمجلس التحسيني، وانعقدت الجلسة الأولى في 10 يونيو 1914م، وقد أنجز هذا المجلس برنامجا شاملا لتطوير الدراسة بالقرويين، وكان يتألف من 102 من المواد، وكان هذا البرنامج كفيلا بأن يحدث نهضة تعليمية حقيقية لولا أن إرادة الاستعمار والمرتبطين به تدخلت فأجهضته¹.

وتوجه الملك محمد الخامس إلى إصلاح التعليم الديني بالقرويين وإلى نقله إلى نظام حديث على غرار غيره من أنظمة التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي.

وقد أعلن محمد الخامس عن رؤيته للإصلاح في خطابه الذي ألقى على أساتذة القرويين وطلبها في ربيع 1943م، وصرح فيه بإدخال مفهوم النظام، وقد وزعت مراحل التعليم إلى ثلاث طبقات ابتدائية وثانوية ونهائية، وكان للمستوى النهائي توجهان: شرعي وأدبي، وحصرت المواد الدراسية، وحددت شهاداته الدراسية².

وكان من أبرز إنجازات محمد الخامس إتاحتها الفرصة للمرأة لتستفيد من الدراسة بالقرويين، فأحدث لذلك دارا للفتيات وقد تولى تدشينها بنفسه، والتحقت بها مجموعة من النساء تخرجن بها سنة 1957م.

وابتداء من سنة 1929م واكب جهود الإصلاح والتحديث الرسمية ما قامت به كتلة العمل الوطني بعد أن أدركت ما يبيته الاستعمار من مس بالهوية المغربية، فقررت الكتلة تحديث الكتاتيب القرآنية وتوظيف مدرسين، وأنشأت كتاتيب من نوع جديد في فاس ثم

1 الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي محمد بن الحسن الحجوي 194/2 المكتبة العلمية المدينة المنورة ط1. 1396هـ - المغرب في عهد السلطان مولاي يوسف تأليف: زين العابدين العلوي ص 38. منشورات idjl 2009م.

2 دعوة الحق ص: 27 العدد 366 أبريل 2002م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب.

مراكش والرباط وسلا، ثم اتسعت الحركة إلى مدن أخرى مثل وجدة والقنيطرة، وبعض المراكز مثل بركان سيدي قاسم وسيدي سليمان¹.

وفي سنة 1934م تضمن برنامج الإصلاحات الذي تقدمت به كتلة العمل الوطني جزءا تحدث عن تخصيص وقت لتدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية والتاريخ المغربي والجغرافيا المغربية في جميع المدارس الرسمية، وتضمن برنامج الكتلة المطالبة بالسماح للأفراد بإنشاء مدارس حرة تحت مراقبة وزارة المعارف².

وبعد هذا أصبح التعليم الحر مشاركا بقوة في حماية الهوية الوطنية.

وفي عهد الملك الحسن الثاني شهد التعليم عموما وضمنه التعليم الديني طفرة واسعة من مظاهرها، أنه أصدر ظهير 6 فبراير 1969م القاضي بإعادة تنظيم جامعة القرويين تنظيما جديدا.

ومن أكبر إصلاحات الحسن الثاني للتعليم الديني إنشاؤه دار الحديث الحسنية عام 1964م وهي مؤسسة للدراسات العليا أتاحت لكثير من طلاب العلم الذين لم يكن لهم أفق لإتمام دراساتهم العليا أن يلتحقوا بها ويحضرها بها أطاريح علمية أنعشت المعرفة الإسلامية بالمغرب.

ومن مظاهر الإصلاح الذي اضطلع به الملك الحسن الثاني إحداثه شعب الدراسات الإسلامية، وتوسيع انتشار كليات الشريعة وأصول الدين بالمغرب.

ومن منجزاته القيمة التي ظلت لزمن طويل أملا يراود عقول العلماء بالمغرب، إعادة الحياة إلى جامع القرويين وذلك عصر يوم الجمعة 21 ربيع الثاني 1409هـ الموافق 2 دجنبر 1988م فاستأنف جامع القرويين نشاطه التعليمي، وفتح أمام طلبة العلوم الشرعية أملا واسعا لأخذ مكانهم الطبيعي من المجتمع، وأمد المغرب بأفواج من خريجه الذين يشغلون في المغرب حيزا واسعا.

1 المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية ألبير عياش ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي ص: 367 دار الخطابي 1985م.

2 المغرب والاستعمار ألبير عياش ص: 367.

ذ. مصطفى بنحمزة

وقد تواصل إصلاح التعليم الديني في عهد جلالة الملك محمد السادس، وأصدر العديد من الظهائر المنظمة لتدبير الشأن الديني، ومن ضمنه التعليم العتيق الذي خصه بالظهير رقم: 1.02.09 الصادر في 29 يناير 2002م، وهو متعلق بتنفيذ القانون 13.01 في شأن التعليم العتيق، وقد أتاح هذا الظهير لطلبة التعليم العتيق الانخراط في الحياة الاجتماعية والمساهمة في التأطير الديني بعد استفادتهم من تعليم جامعي.

ومن إصلاحات جلالة الملك محمد السادس دفعه بالمرأة دفعا قويا إلى الأخذ بحظها من المعرفة الشرعية، وفتح آفاق الحضور لها في مجال العلم الشرعي، فوجدت العالمات والمرشدات والواعظات والحافظات للقرآن والمجيدات لرسمه وتلاوته.

ومن إصلاحات جلالة الملك محمد السادس للتعليم الديني، تطوير التعليم العتيق، وترسيم شهادات التخرج به، فأصبح تعليما وطنيا يقف على درجة المساواة مع باقي أنماط التعليم بالمغرب. وأصبح خريجوه يشعرون باستوائهم مع غيرهم من التلاميذ والطلبة.

إصلاح التعليم الديني في المشاريع الإصلاحية للعلماء.

لقد كان لكثير من العلماء الحاملين لفكر الإصلاح الاجتماعي دعوات إلى إصلاح مناهج التعليم الديني.

فقد عقد ابن خلدون في كتابه المقدمة في الفصل السادس منه مبحثا عن تاريخ التربية والتعليم لدى كثير من الأمم الإسلامية، وأبدى رأيه في الطرق المتبعة¹.

واستعرض د. علي عبد الواحد وإفي في مقدمة تحقيقه لمقدمة ابن خلدون مجمل آراء ابن خلدون لإصلاح التعليم².

ومن جهود العلماء لإصلاح التعليم الديني ما تحدث به محمد بن الحاج العبدري في الفصل الذي خصه للحديث عن آداب المؤدب من كتاب المدخل³.

1 مقدمة ابن خلدون الباب السادس الفصل الثاني 1019/3 ط.3. دار نهضة مصر القاهرة

2 مقدمة ابن خلدون تقديم د علي عبد الواحد وإفي 33/1 دار نهضة مصر ط.3.

1 المدخل لابن الحاج 315/2 ط.2. 1972م، دار الكتاب العربي بيروت.

ذ. مصطفى بنحمزة

وعقد اليوسي الفصل الثالث من كتابه القانون للحديث عن آداب المعلم في التدريس، وعن آداب الدرس وعن طرق التدريس¹.

وفي الأزمنة الحديثة تنادى علماء كثيرون إلى إصلاح التعليم الديني من أجل مواجهة التحديات التي طرحها لقاء المسلمين مع الغرب، فكان محمد عبده يرى أن الأولوية يجب أن تكون لإصلاح التعليم، على خلاف ما كان يراه جمال الدين الأفغاني الذي كان يركز الإصلاح على الجانب السياسي من أوضاع الأمة الإسلامية، وقد حقق محمد عبده بعض الخطوات في اتجاه تغيير البرامج التعليمية بالأزهر، يقول عنه محمد رشيد رضا: كان أول حديث دار بيني وبين الأستاذ الإمام في مصر هو الحديث عن إصلاح الأزهر. وقال: إن إصلاح الأزهر أعظم خدمة للإسلام، لأن صلاحه إصلاح لجميع المسلمين، وفساده فساد لهم².

وفي المغرب كانت فكرة الإصلاح قد اختمرت في أذهان بعض العلماء، وتكررت على ألسنتهم.

فكتب محمد الأعرج السليمانى عن ضرورة الإصلاح ضمن كتابه اللسان المغرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، وأبرز بعض آرائه في الإصلاح³.

وكان لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي اهتمام كبير بإصلاح نظام التعليم بالقرويين، وكانت له رؤية أودعها كتابه كناش الحجوي الثعالبي⁴. وقد قارن فيه بين الحويلة العلمية لطلبة القرويين وطلبة الأزهر وجامع الزيتونة، ودعا إلى إصلاح نظام التعليم بالقرويين¹.

1 القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم حسن بن مسعود اليوسي تحقيق: حميد حمانى مطبعة ضالة الرباط 1998م.

2 تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده لرشيد رضا 325/1 دار الفضيلة 2006م.

3 مجلة دعوة الحق. القرويين في مطلع القرن العشرين بين التجديد والتقليد محمد الفلاح العلوي ص: 26 العدد 364 فبراير 2002م.

4 الخزانة العامة رقم 127 ح.

1 مجلة دعوة الحق. مقال التعليم الجامعي ونهضته لجامعتي القرويين بفاس وابن يوسف بمراكش محمد الطوكي. ص: 24 العدد 366 أبريل 2002م.

وقد أوكل مولاي يوسف إلى محمد بن الحسن الحجوي مهمة النهوض بالتعليم،
فأنجز برنامجاً إصلاحياً أحبطته السلطات الفرنسية¹.

وكان من مفردات الإصلاح التي استطاع الحجوي أن يحققها إدراج مادة اللغة العربية
ومبادئ الدين في المدارس الدولية الابتدائية والثانوية².

وكان لعبد الله كنون رؤية لإصلاح التعليم الديني عبر عنها في كتابه التعاشيب،
ومضمونها أنه يجب أن تخصص كلية القرويين في الدراسات الإسلامية المحضة وما يعين
عليها من علوم اللغة والقرآن، على أن تكون هذه العلوم وسائل تابعة لدراسة مواد التخصص،
لأن من شأن هذا أن يساعد على تخريج علماء متضلعين يعيدون عهد مالك والشافعي
والبخاري وأحمد بن حنبل وأبي منصور الماتريدي والأشعري وابن حزم وأبي بكر ابن العربي
وابن تيمية وابن حجر وأضرابهم³.

وكان عبد الله كنون يدعو إلى تأسيس جامعة عصرية تتكون من عدة كليات في
تخصصات مختلفة، وكان يرى أنه لا بد من إيجاد أساس متين لإصلاح التعليم الديني هو
أساس إصلاح المجتمع كله.

وقد توجه عبد الله كنون بمشروع الإصلاح إلى السلطان محمد بن يوسف، وكان
هذا قبل أن تعرف الدراسة بالقرويين إصلاحها الذي تم على يد محمد الخامس.

وفي تونس كتب محمد الطاهر ابن عاشور كتابه أليس الصبح بقريب، وتطرق فيه
إلى طرق التدريس في المعاهد التونسية، واستهله بسؤال قال فيه: لماذا نسعى إلى إصلاح
التعليم¹. وتحدث عن تاريخ التعليم وعن محاضنه في البلاد الإسلامية، وتحدث عن تاريخ
التعليم في المغرب الأقصى². وأفاد ابن عاشور أن أمراً قد صدر بإصلاح أساليب التعليم
بالجامع الأعظم، فتشكلت لذلك لجنة يرأسها الوزير محمد العزيز بوعتور، وفي عضويتها

1 الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي محمد بن الحسن الحجوي 194/2 - المغرب في عهد السلطان مولاي يوسف زين العابدين العلوي ص: 38 منشورات idjl 2009م.

2 الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي محمد بن الحسن الحجوي 199/2.

3 التعاشيب عبد الله كنون ص: 87 دار الكتاب اللبناني ط. 2. 1975م

1 أليس الصبح بقريب محمد الفاضل بن عاشور ص: 7 دار التونسية للنشر والتوزيع.

2 أليس الصبح بقريب ص: 71.

ذ. مصطفى بنحمزة

مجموعة من علماء تونس، وتم ذلك سنة 1898م¹. وتحدث الطاهر الحداد عن ثلاث محاولات لإصلاح التعليم بتونس منها ما صدر به منشور أحمد باي، ثم منشور محمد الصادق باي سنة 1882م، ثم منشور سنة 1912م².

بواغث إصلاح التعليم الديني في المدرسة المغربية راهنا

قد يكون استعراض ملامح من مسار التعليم الديني عبر تاريخ المغرب وغيره من البلاد كافيا لإفادة أن الإصلاح كان على الدوام عملية مستمرة لم تتوقف، وأن الداعي إليها كان هو الرغبة في تطوير التعليم الديني وفي مواجهة مستجدات الحياة وأسئلة المجتمع.

وبناء على هذا، فإن دعوة أمير المؤمنين الحالية إلى إصلاح التعليم الديني ليست إلا حلقة في سلسلة، ومحطة من مسار طويل، وعلى هذا الأساس يجب التعامل معها حتى تدرك الدعوة غاياتها.

ومن أجل الوفاء للغايات التي توختها دعوة أمير المؤمنين إلى الإصلاح، فإنه يتعين الالتزام بفحوى نص بلاغ الديوان الملكي، واتخاذ مرجعا وخطة عمل، حتى يسير الإصلاح في طريقه الصحيح.

يقول نص بلاغ الديوان الملكي: إن الملك محمدا السادس أصدر السبب تعليماته إلى وزيري التربية الوطنية والأوقاف والشؤون الإسلامية، بضرورة مراجعة مناهج وبرامج مقررات تدريس التربية الدينية، سواء في المدرسة العمومية والتعليم الخاص، أو في مؤسسات التعليم العتيق، في اتجاه إعطاء أهمية أكبر للتربية على القيم الإسلامية السمحة، وفي صلبها المذهب السني المالكي الداعي إلى الوسطية والاعتدال، وإلى التسامح والتعايش مع مختلف الثقافات والحضارات الإنسانية.

إن القراءة المتأنية لنص البلاغ تفيد أنه احتوى مضامين محددة، يمكن إجمالها في ثلاثة محاور هي:

1 أليس الصبح بقريب ص: 140.

2 التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة الطاهر الحداد، تحقيق: محمد بوسنيّة الدار التونسية للنشر 1981م.

ذ. مصطفى بنحمزة

أولاً: تعميق حضور المادة الدينية في البرنامج الدراسي، مع التركيز على إبراز قيم الإسلام السمحة، ومع استحضار عطاء المذهب المالكي السني الموسوم بالوسطية والاعتدال.

ثانياً: توسيع نطاق تدريس المادة الدينية وتعميمها على كل مؤسسات التعليم العمومي، ومؤسسات التعليم الخاص، والتعليم العتيق.

ثالثاً: نشر ثقافة التسامح والتواصل مع الثقافات والحضارات الإنسانية.

ولا شك أن معالجة كل محور على حدة تستدعي تحليله إلى مكوناته الفكرية الأساس، ومعالجة كل مكون معالجة علمية مسنودة بشواهد وأدلتها العلمية والواقعية.

لكن الملاحظ أنه على الرغم من وضوح نص بلاغ الديوان الملكي، فإن ذلك لم يمنع من أن يتجه به البعض متجهاً آخر ويحاول توظيفه في خدمة رؤى ذاتية، ويرى فيه فرصة مواتية للمطالبة بالتقليص من المدى الزمني لتدريس المادة الدينية، أو بحذف عناوين معينة وإحلال عناوين أخرى بدلها، أو الانتهاء إلى استبعاد المادة الدينية من البرنامج الدراسي لو أمكن ذلك. وذريعة هؤلاء هو تحميلهم برامج المادة الدينية مسؤولية نشوء التطرف والإرهاب.

وعلى الرغم من أن هذه المقترحات التي لا تتجاوز عتبة الدعوة إلى التقليص أو الإلغاء، وبذلك لم تكن مشروعاً إيجابياً للإصلاح، لأن الإصلاح لا يقوم على التفريغ وإحداث الخواء المعرفي، فإنها تظل مع ذلك جديرة بأن تعالج معالجة علمية محايدة تنأى عن الذاتية وعن الرؤى القبلية، وتستند إلى واقع تجذر الدين في الحياة الذهنية الجمعية للمغاربة، وتستحضر الخلل المتوقع من استبعاد المعرفة الدينية وما ينتج عن ذلك التفريغ من تسرب أفكار غريبة عن البيئة الدينية المغربية، وما يتولد عن ذلك حتماً من تعصب وصدام ومن طائفية مقيتة.

والأكيد أن من يستطيع أن يلغي مادة دينية أنه لا يستطيع بالضرورة أن يمنع فكراً آخر من أن يحل بدلها.

إن معالجة المقترحات التي تقدم بها بعض من دعا إلى تقليص وجود المادة الدينية في البرنامج التعليمي تستدعي التنبيه على القضايا التالية:

- إن تقديم أي اقتراح لا يفي بمتطلب تعميق المادة الإسلامية وتوسيع حضورها ونشر ثقافة التسامح هو في حقيقته شرود عن المضمون الذي حمله بلاغ الديوان الملكي، وهو

انصراف عنه والتفاف عليه، يمكن وصفه بعدم الوفاء للنص المرجعي الذي يؤسس للإصلاح التربوي الراهن والمرتبط دستوريا بإمارة المومنين.

ولو صح أن تكون مقترحات التقليل أو الإلغاء مشروعا لإصلاح التعليم الديني، فإنها لا تكون بحال مصغية ولا متماهية مع ما ورد في نص البلاغ، وإنما تكون مقترحات شاردة عن اللحظة، إن لم نقل إنها مقترحات أصبحت متجاوزة، لأنها قد جربت فعلا في ظل أنظمة شمولية في جهات من العالم الإسلامي، ثم كان المآل هو ما يراه الناس على الأرض، لا ما يبشر به دعاة التقليل والإلغاء.

ومن أجل إيضاح الصورة وكشف الالتباسات التي حملتها بعض المقترحات

المتعجلة، فإني أقتصر منها على مناقشة قضيتين هما:

- قضية مسؤولية التربية الدينية عن العنف والإرهاب.
- قضية إلغاء عناوين معينة من المقررات الدراسية.

قضية مسؤولية التربية الدينية عن العنف والإرهاب.

- إن إلصاق تهمة العنف والإرهاب بالتربية الدينية ليس استنتاجا علميا مستوحى من دراسة معمقة لظاهرة العنف والإرهاب من جهة، كما أنه يمثل مساندة مجانية لكل التيارات اليمينية والعنصرية التي أصبحت تضايق المسلمين في ديار الغرب بمن فيهم أفراد الجالية المغربية، وقد أصبح هؤلاء يحسون أثر هذا التوجه على حياتهم اليومية، ويتخوفون بسببه على سلامتهم ومستقبل أبنائهم حيث يقيمون، خصوصا بعدما تعرضت بعض المساجد للإحراق والاعتداء.

ولعل كثيرا من ساسة الغرب وزعمائه كانوا أكثر إنصافا وحذرا من أن يحدثوا شرحا عميقا بين أفراد شعوبهم، فلذلك صرحوا بأن المسلمين كانوا على الدوام مكونا إيجابيا من مكونات المجتمعات الغربية، وأنهم أسهموا في صناعة الثروة والأمن في البلاد التي أقاموا بها، وبعضهم هم أفراد في الجيوش الغربية وفي الأجهزة الأمنية، ومن قبل هذا قدموا مساندة لأوروبا وهي تواجه النازية، وقد أعلن أوباما وهولاند وغيرهما من القادة في تصريحاتهم أنهم يشجبون إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام وبعموم المسلمين، فالمسلمون هم أكثر من مليار وست مائة مليون نسمة، ولا يمكن موضوعيا تحميلهم أثر فعل قامت به فئة محدودة، لا تكاد تشكل أي نسبة عددية.

كما أن الدراسات العلمية لظاهرة العنف والإرهاب في أوروبا وفي الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت تؤكد أن أكثر ما حصل من حوادث العنف في جهات من العالم قد تم على أيدي غير المسلمين وبنسبة عالية، فكانت 98% من جرائم الإرهاب في أوروبا، و94% من جرائم الإرهاب في أمريكا قد قام بها أشخاص ليسوا مسلمين، كما ذكرت ذلك ديلي بست.

وذكر تقرير الشرطة الأوروبية يوروبول أن 99.6% من المسلمين لا صلة لهم بالإرهاب، وقد كان هذا التقرير مفاجئاً لكل الذين انطلق عليهم فكر الإسلاموفوبيا القديم المتجدد. إن الدراسة الموضوعية والمتبصرة التي تتشد الحقيقة ولا تستهدف تحقيق أغراض جانبية لا قدرة لها على مقارنة ظاهرة الإرهاب، ترشد إلى أن الإرهاب يرتكب يومياً في كل جهات العالم، ومن قبل منتسبين إلى كل الديانات من غير أن يعزى ذلك إلى أي دين، ففي اليابان عمدت جماعة الحقيقة السامية إلى إطلاق غاز السارين السام في أنفاق المترو بطوكيو في مارس سنة 1995م، معتقدة أن الموت هو خلاص للإنسان.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية تقع أكثر من 30.000 حالة اعتداء باستعمال السلاح سنوياً، وأصبح إطلاق النار في المؤسسات التعليمية وفي الملاهي وفي الشوارع العامة منظراً متكرراً ساعد عليه أن 80% من الأمريكيين يمتلكون سلاحاً، وأصبحت التفجيرات من مستوى تفجير أو كلاهما في أبريل سنة 1995م أمراً معلوماً، وفي أوروبا أصبحت جماعات الجريمة المنظمة، والمنظمات العنصرية توجه أسلحتها للمخالفين لها ثقافياً، ومن ذلك أن جماعة أصولية نرويجية يقودها أندريس فريفيك عمدت في 22 يوليو 2011م إلى تنفيذ عدوان مزدوج كان ضحاياه 77 من الأطفال المخيمين، وانتهت روح العنف إلى إيجاد جماعات الهوليكنز التي تشكل الألتراسات المساندة لبعض الفرق الرياضية، وأصبحت هذه المجموعات تحدث شغب الملاعب وما يترتب عنه من قتل وجرح، حتى أصبحت السلطات تتخوف من المباريات وتحشد لها الآلاف من رجال الشرطة، وأصبح حضور النيابة العامة المغربية في المقابلات الرياضية أمراً تلزم به القوانين المغربية.

ومن أجل التأكد من أن الإرهاب لا وطن له، فإنه يكفي إلقاء نظرة على عدد من الزعماء الذين اغتيلوا في بلاد غير إسلامية، ففي الولايات المتحدة الأمريكية اغتيل أبراهام لنكولن 1865م وجون كينيدي 1963م. ومارتن لوثر كينج عام 1968م. ومن قبل هذا قتل زعماء أمريكيون عديدون.

وفي الهند قتل الماهاتما غاندي على يد رجل هندوسي عام 1948م وقتلت أنديرا غاندي في عام 1984م بيد حراسها من السيخ. وفي سنة 1991م قتل ابنها راجيف غاندي بيد نمور التاميل بينما كان يقود حملة انتخابية.

وفي أوروبا قتل من الرؤساء والزعماء عدد كبير ابتداء من يوليوس قيصر الذي اغتيل سنة 44 ق م، مروراً بعدد من الملوك، وقد صار العنف في أوروبا مكوناً هيكلياً بعد أن تبنت أوروبا الاستعمار أسلوباً للتعامل مع شعوب أخرى، واستمر التمجيد لمرحلة الاستعمار، وفي مناخ العنف تكونت النازية والفاشية التي أحدثت صورا مريعة من الدمار، وبرزت بعد ذلك جماعات الجريمة المنظمة، والجماعات العنصرية التي ترفض الآخر.

إن الملاحظ هو أن جميع حالات العنف التي وقعت في الولايات المتحدة وفي أوروبا قد كلفت بأن نسبت إلى مختلين عقلياً أو إلى متطرفين أو إلى سياسيين قوميين، ولم يلصق شيء منها بالمسيحية ولا باليهودية ولا بغيرهما من الأديان على خلاف مما يقع مع الإسلام.

إن الحقيقة الجلية هي أن الإرهاب ليس له حدود وليس له عامل واحد ينتجه، لكن أهم عوامله هو تشرب الذهنيات واقتناعها بمنطق العنف والقسوة، هذا العنف الذي يمجّد ويرسخ اجتماعياً حينما يمنح الذين يمارسونه جوائز، مثلاً نراه في ألعاب المصارعة الصومو، وألعاب الملاكمة والكارتيك، ومصارعة الثيران وغيرها من الألعاب العنيفة، وفي رياضة فنون القتال المختلطة mma.

وبالنسبة للبلاد الإسلامية فإن الإرهاب قد حدث فيها بعد أن سحب عنها غطاء العلم الشرعي، وأفرغت مواقعه وعطلت مؤسساته، فهياً ذلك طبيعياً لنشوء فكر لا ينضبط بضوابط العلم الشرعي، على قاعدة أن الطبيعة لا تقبل الفراغ.

ويمكن التأكد من قضية التفريغ العلمي الذي ينتج العنف والإرهاب باستجلاب نماذج كثيرة من كل البلاد الإسلامية التي انتقلت من حال الاستقرار إلى أن صارت بؤراً للتوتر والعنف.

ففي الحالة الأفغانية مثلاً فقد ظل المسلمون منضبطين لأحكام الشريعة، وكانت أفغانستان بلد علم شرعي ومنها محدثون كبار من الهرويين وغيرهم، وكانت بلخ تعرف بأنها مدينة العباد والزهاد، لكن الأمر تغير بعد أن أقصيت أحكام الشريعة، وأصبحت هوية الناس في مقتل، ثم استولى المرتبطون بالشيوعية على الحكم، وسلموا البلاد إلى الجيش السوفيياتي، وبعد هذا ظهرت ممارسات تدينية ليس لها سند قوي من علم الشريعة، وكانت

أقرب ما تكون إلى رد الفعل منها إلى الفعل المحتكم إلى الشريعة، ومن ذلك على وجه المثال: التوجه إلى تحطيم تماثيل بوذا في باميان، وهو فعل شجبه العلماء قبل غيرهم، وقد كانت حجة من قام به أن التماثيل قد عبدت من دون الله، وفات هؤلاء أن هذه المناطق الأفغانية قد عمرها ومنذ زمن بعيد علماء كبار، لكنهم لم يقولوا بوجوب تحطيم هذه التماثيل، لأن عبادتها قد صارت في ذمة التاريخ، ولأن الأفغان لهم من قوة الإيمان ومن التمسك بالعقيدة الإسلامية ما يحول دون مجرد التفكير في العودة إلى عبادة الأوثان، واستبقاؤها لن يكون إلا من قبيل استبقاء إبراهيم للوثن الأكبر ليقم به الحجة على قومه، وليقول عنه بل فعله كبيرهم هذا، فيضطر قومه إلى الإقرار بأن الوثن لا قدرة ولا إرادة له، وهو إقرار جماعي بعدم صلاحية الأوثان لأن تكون آلهة.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد رأى المسلمون في تلك التماثيل شاهدا ماديا على النقلة الكبيرة التي أحدثها الإسلام في نفس الإنسان المسلم، حينما كرمه ونزه جبهته من السجود للحجارة والتراب، ليكون عبدا لله مخلصا.

ومثل ذلك أن ما كانت تحتفظ به متاحف العراق من تماثيل كانت كلها تفسيراً ماديا لما ذكره القرآن الكريم من أن إبراهيم عليه السلام وجد الناس يسجدون للشمس وللقمر وللنجوم فأنكر ذلك، يقول الله تعالى: ﴿وَكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الظلمين، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لن لم يهني ربي لاكون من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يقوم إنني بريء مما تشركون¹﴾. وقد صورت الآية أنواع المعبودات والعبادات التي كان عليها قوم إبراهيم.

وقد رأى المسلمون قديما تماثيل مصر الضخمة، ومروا بها صباحا ومساء، ولم يعملوا على تحطيمها، ولو أنه كان من تعاليم الشريعة أن يهدم أو يعدم كل ما عبد من دون الله، لوجب إعدام البقر، لأنه يعبد من دون الله. ولوجبت إبادة الشجر، لأنه يعبد من دون الله كذلك.

إن الخلاصة الجوهرية التي يتغاضى أو يذهل عنها بعض المتحدثين في موضوع العنف والإرهاب، أو يقصرون عن إدراكها هي: أن الخطر على الأمة لا يأتيها أبدا من معرفتها

¹ سورة الأنعام، الآية: 79.

بدينها، ولا من إدراكها للمادة الدينية المحررة، وإنما يأتيها من الجهل بها أو التشويش عليها،
وحيثذاك يكثر أصحاب الرؤى والنظريات الخاطئة.

وقد تفتنت الدول العلمانية التي كانت تلغي الدين من اهتماماتها، ولا تجعل العناية به
ضمن مسؤوليات الدولة مؤخرا إلى أن ذلك الإهمال هو بالذات ما أفضى إلى تشكل صيغ
متعارضة للتدين.

ولهذا اتجهت فرنسا وهي التي تلتزم دستوريا بعلمانية الدولة منذ سنة 1905م إلى
الاهتمام بتكوين الأطر الدينية، فأشرف الرئيس فرنسوا هولاند مع الملك محمد السادس
بوصفه أميرا للمؤمنين في طنجة 2015/09/21م على عقد اتفاقية يتم بموجبها تكوين أئمة
فرنسيين بمعهد محمد السادس للأئمة بالمغرب، وهذا الإجراء يتجاوز مستوى تفويض الدولة
المدنية تدبير الشأن الديني إلى جمعيات أو مؤسسات ذات طابع مدني إلى مستوى أخذها
مباشرة بالشأن الديني، وما أقدمت عليه فرنسا هو ما فعلته بعض الدول الإفريقية والعربية
لاستيقانها بحكم التجربة والتعامل مع الواقع بأن استبعاد المعرفة الشرعية كان هو السبب
الرئيس في وقوع الخلل الذي كان يخفيه ويدرأه التمسك الصارم بعلمانية الدولة، ولو على
حساب سلامة المجتمع.

لقد أضاعت أوروبا على نفسها فرصا كثيرة لرعاية التدين المعتدل والمتبصر
واحتضانه، حينما تجاهلت الحاجة إلى إنشاء معاهد وكليات تدرس علوم الإسلام للمسلمين
من مواطنيها، ولم تعترف بالشهادات التي تسلمها بعض الجامعات التي أنشأتها الجالية، ولم
تمكن أوروبا خريجي هذه الجامعات من تأطير الحياة الدينية عن علم ومعرفة.

أما في الحالة المغربية فلقد بدأ الخلل منذ أن اتجهت سلطات الحماية الفرنسية إلى
إيقاف إشعاع القرويين، حسبما أوصى به المستشرقان ألفرد بل وغاستون لوث، وكان
الرجلان لا يختلفان في ضرورة إلغاء دور القرويين، وإنما كانا يختلفان فقط في الطريقة التي
يجب أن يتم بها ذلك الإلغاء. ومثل ما وقع للقرويين هو ما وقع لجامع ابن يوسف حسبما ذكره
المستشرق الأمريكي إيكلمان في كتابه المعرفة والسلطة¹.

لقد تحدث ألبير عياش عن أنماط التعليم التي اعتمدتها فرنسا في المغرب، وذكر أن
سياسة ليوطي قامت على ترسيم أنواع كثيرة من التعليم لتفريق المغاربة، لكن ثابتا كان

1 المعرفة والسلطة المقدمة ديل إيكلمان ترجمة محمد أعيف ص: 05 مركز طارق بن زياد الرباط. 2000م.

يجمع بين كل تلك الأنماط يتمثل في أن كل تعليم للعربية وكل مساهمة فقيه ما ، وكل مظهر إسلامي يجب استبعاده بصرامة¹.

وكان من أثر هذه السياسة أن تضاعف حجم وجود الكفاءات العلمية القادرة على قيادة المجتمع، فتعرت الحياة الدينية بعد سحب غطاءها العلمي، واتخذ الناس لأنفسهم مرشدين، وهذه الحالة هي بالذات ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"².

على أن الذين يدعون الآن إلى تقليص المادة الدينية في البرنامج الدراسي أو إلى إلغائها بالمرّة، قد صاروا بحكم التطور الذي عرفه المغرب عاجزين عن مواكبة مستجدات الواقع، لأن المغرب أصبح يقدم نفسه على أنه راعي التدين الوسطي المعتدل، وأنه أصبح يستقبل الأئمة والمرشدين من دول العالم، ومعنى هذا أنه يحتفظ بالمعرفة الشرعية المحررة والقادرة على إيقاف توغل أي فكر متطرف.

فإذا صح أن يتجه المغرب إلى تقليص أو إلغاء المادة الدينية، فمعنى ذلك أنه ينسحب من موقعه ويتخلى عن رسالته التي أصبح مؤتمنا عليها دوليا، إذ لا قبل له بنشر ثقافة الوسطية والاعتدال إلا بنشر سندها من العلم الشرعي، أما باقي المعارف المدنية، فلا شك أن الذين ابتغوا أئمتهم من الأوروبيين إلى المغرب هم أدرى بها.

إن انزياح المغرب عن موقعه الديني وتخليه عن مسؤولياته التعليمية هو مغامرة غير محسوبة العواقب، وهو خسارة سياسية للمغرب، يتمنى خصومه أن يقدم عليها خصوصا بعد أن صار ملاذا للكثير من الشعوب، وأصبح الزعماء يشيدون بنموذجه في التدين.

والأكيد أن ما تبثه القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي الحاملة لمشاريع فكرية طائفية هي في قوة صبيبها أقوى بكثير مما تؤديه البرامج التعليمية، وكل ذلك الاستهداف لا يرد إلا ببرامج تعليمية دينية قوية، تتضافر في أدائها وسائل التعليم والإعلام، والتربية الشعبية وغيرها.

1 المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية ألبير عياش ترجمة: عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي ص: 366 دار الخطابي 1985م.

2 صحيح البخاري كتاب العلم باب كيف يقبض العلم.

وبناء على هذا، فإن الذين يقترحون تغييب المعرفة الشرعية أو حذف أبواب منها يخطئون الطريق ويعمقون الأزمة من حيث إنهم يظنون أنهم يعملون على حلها. لأن اقتراح الإلغاء هو تعويل على الجهل لا على المعرفة وهو خوف منها، وإن برنامجا يقوم على الجهل لا قرار له أمام أي فكر مهما يكن ضعيفا أو هزيلا أو متناقضا.

القضية الثانية:

قضية اقتراح استبعاد مواضيع معينة من المقررات الدراسية أو التصرف في مضامينها. لقد ذهب بعض من تعجل إبداء الرأي في موضوع إصلاح البرامج الدينية بالمدرسة المغربية إلى أنه يجب حذف موضوعات بعينها، وحذف مصطلحات ذات حمولات غير حداثية، وحسن المادة الدينية بمصطلحات أخرى مغايرة.

إن الأكيد هو أن من يبدي مثل هذا المقترح يقف على ضفة أخرى بعيدة جدا عن المعرفة الشرعية، وهو لا يعرف كيف تتأسس وتعتمد فيها الحقائق، لأن الناس ليسوا من الطواغية أو الاستكانة بحيث يقبلون بأي رأي يفرض عليهم من خلال برنامج دراسي يقدم لهم على أنه ينتمي إلى المعرفة الشرعية.

إن الذين يعيشون الحياة الدينية يعرفون كيف تتأسس فيها الحقائق، لأن كبار الأئمة كانوا إذا انتهوا إلى حكم اجتهادي لم يقبل منهم ذلك إلا بعد ذكر دليله ومرجعه من كتاب أو سنة، أو بالاستناد إلى المصادر الاستنباطية التي طالما وقع الجدل حول اعتماد بعضها أو رفضه، حتى إنه ليصح أن يقال إن الاختلاف الفقهي سببه الأكبر هو الاختلاف في المصادر الاستنباطية، فمن لم يقل بالاستحسان أو بالقياس مثلا كان فقهه جاريا على نحو ما تقره أصوله الاجتهادية.

وقد نسب إلى جميع الأئمة الكبار ومنهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل قولهم: إذا قلت بقول يخالف كتاب الله وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركوا قولي أو فاضربوا به عرض الحائط. ولطالما كرر ابن حزم في نقاشاته الحادة أنه لا معصوم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن صاحب كل كلام يؤخذ منه ويرد.

يقول ابن حزم إنما أمرنا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقامت حجة العقل بوجوب قبول ما صح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبسقوط اتباع قول من دونه عليه الصلاة والسلام¹.

1 المجلد لابن حزم كتاب النكاح مسألة 1821. 453/9 دار الفكر.

وهذا هو المنهج الذي تتبناه الأمة الإسلامية قاطبة على امتداد جغرافيتها وعمق تاريخها، ولن يكون المغرب حالة استثنائية من هذا.

إن مآل كل فكرة لا سند لها من الكتاب والسنة أنها تطرح ولا يعتد بها أحد، مثلما طرحت كثير من الأفكار التي لم يكن لها سند من أصول الشريعة، ثم انزوت إلى حيز الإهمال.

أما عن اقتراح إلغاء موضوعات دينية معينة من المقرر الدراسي، فهو أيضا مقترح غير جدي، لأن الناس لا يأخذون تدينهم من الكتاب المدرسي فقط، وإنما يأخذونه من مصادر فقهية امتزجت بالذهنية الفقهية المغربية، فمن أساسيات الفقه في المغرب قراءة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل، وهذه كتب اعتنى بها المغاربة وشرحوها، ولا يمكن إعمال مقص الرقابة فيها، لأن ذلك ليس بمستطاع أحد لو حاوله.

إن الخبرة الميدانية تفيد أن الموضوعات التي يقفز عليها ويتجاوزها البرنامج الدراسي، هي ذاتها الموضوعات التي قد يوظفها فكر آخر بعد أن يعالجها بأسلوبه الذي يفتقر إلى سند صحيح من العلم الشرعي، ثم يستعملها في تأييد أطروحاته.

ولعل أكثر الموضوعات إثارة للحساسية هو موضوع الجهاد الذي يقترح البعض إلغاءه من المقرر الدراسي. ويفوت هؤلاء أن هذا الهروب من الموضوع يبقيه رهين المعالجات الأخرى. والأصل أن يدرس موضوع الجهاد دراسة علمية، من مفرداتها أن كلمة الجهاد قد استعملت في العهد المكي، وكانت تعني بذل الجهد في خدمة القرآن ونشره، يقول الله تعالى: "وجاهدكم به جماداً كبيراً" قال المفسرون: إنه يعود إلى القرآن¹.

ومن مفرداته أن الجهاد يعني تربية النفس وإزالة الفكر كما في قول الله تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا". يقول ابن عاشور: الجهاد هو الصبر على الفتن والأذى، ومداغة كيد العدو².

ومن مفردات الكلمة الصبر على تحمل الأوبى الكبيرين كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: اذهب ففيمهما فجاهد¹.

1 التحرير والتنوير لابن عاشور تفسير سورة الفرقان 53/19 دار التونسية للنشر 1984م.

2 التحرير والتنوير لابن عاشور تفسير سورة العنكبوت 37/21.

1 صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب الجهاد بإذن الأوبى.

أما الجهاد بالمعنى العرفي الذي يعني مواجهة العدو في حالة الحرب فهو من أحكام الإمامة، ومن توابع وجود الدولة، وليس لفرد أو جماعة أن تعلن الجهاد، لأن ذلك من اختصاص إمارة المومنين.

ومفهوم الجهاد في الإسلام يقابل مفهوم العقيدة القتالية عند جميع الدول التي تتخذ لنفسها جيشاً، وتؤسس لتدريس عقيدتها أكاديميات عسكرية.

لقد تبين من خلال دراسة ممارسة العنف أن كتباً معينة ركزت على جانب الجهاد، ففسرته بما شاءت، وأخذت بعض الجماعات بما جاء في مضمون تلك الكتب، فأعلنت الجهاد ضد المجتمعات، ومن تلك الكتب كتاب الفريضة الغائبة الذي كتبه محمد عبد السلام فرج أحد منظري الجماعة الإسلامية بمصر سنة 1981م، وقد قيل عنه إنه الكتاب الذي كان له أكبر الأثر في إدخال المجتمعات الإسلامية في دائرة العنف، ورآه بعض الباحثين منطلق الفكر الجهادي¹، ومن تلك الكتب أيضاً: كتاب رسالة الإيمان لصالح سرية، وقد تحدث فيه عن الجهاد وعن التكفير وعن اعتبار ديار المسلمين دار كفر.

وكل هذه الكتب التي لم يطلع عليها أكثر المتحدثين في موضوع إصلاح التعليم الديني، وهي كتب رائجة متداولة.

والمتعين في مقابل هذا هو بث ثقافة مصححة لمضامينها تنطلق من أحكام الشريعة لا من غيرها.

ويكفي من ذلك كله إعادة نشر كتب المراجعات التي تتضمن اعترافات بخطأ اللجوء إلى العنف، وأذكر منها على سبيل الاقتضاب الكتب التالية:

ذكرياتي مع جماعة المسلمين - التكفير والهجرة - عبد الرحمن أبو الخير دار البحوث العلمية بيروت 1980م.

نهر الذكريات، وهو تلخيص لنقاش تصحيحي حرره ثمانية من قيادات الجماعات، وقد كان بمثابة الحجر الذي ألقى في الماء الراكد، وأعلن بصراحة عن خطأ التوجهات السابقة.

تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من الأخطاء لأسامة إبراهيم حافظ وعاصم عبد المجيد، وإقرار أبرز قيادات المراجعات، وهم كرم زهدي وناجح إبراهيم. طبعة العبيكان 2004م.

1 الحركات الإسلامية في مصر حسن حنفي ص: 133 الهدى المؤسسة الإسلامية للنشر 1985م.

حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين لأسامة إبراهيم حافظ وحاتم عبد المجيد، وإقرار أبرز قيادات المراجعات مكتبة العبيكان 2004م.
دعوة للتصالح مع المجتمع ناجح إبراهيم وأبرز رجال المراجعات مكتبة العبيكان 2005م.

وإلى جانب هاته الكتب كتب أخرى يضيق المقام عن سردها¹.
إن المعرفة الصحيحة بواقع العنف في العالم الإسلامي تفيد أنه لم ينشأ في أروقة المساجد ولا في حلقات الدرس ولا من كتابات العلماء. وإنما نشأ في زوايا أخرى شكلت لنفسها بيئتها الخاصة.

ومن المؤسف حقا أن لا تتجزز قراءات علمية وطنية ودولية للأفكار المؤسسة للعنف في العالم الإسلامي، وقد حاول المجلس العلمي الأعلى شيئا من ذلك لما عقد ندوة في حكم الشرع في دعاوى الإرهاب بتاريخ 19 ماي 2007م بالدار البيضاء، لكنه يبدو أن أكثر المهتمين والفاعلين لم يمنحوا أنفسهم فرصة الاطلاع على هذه البحوث، فلذلك لم يلمس أثرها في تحليلاتهم.

وما يجب المصير إليه حاليا هو عقد مناظرات وطنية ودولية، من أجل بحث ظاهرة العنف والإرهاب في جميع المجتمعات، ومن ضمنها المجتمعات الإسلامية، وبحث جميع أسبابها وكافة الشروط المهيئة لاستتباتها وانتقالها بكل عمق وموضوعية، بعيدا عن التوظيف المغرض للإرهاب من أجل مساندة فكر له مجالاته الأخرى ليعبر فيها عن نفسه.

1 ثقافة الإرهاب قراءة شرعية. مصطفى بن حمزة. حكم الشرع في دعاوى الإرهاب المجلس العلمي الأعلى ص: 21 سنة 2007م.

أضواء على المذهب المالكي بالمغرب الأقصى في عهد الأدارسة

ذ. سلمان الصمدي

باحث في الفقه وأصوله

كلية الآداب - القنيطرة.

عرف المغاربة المذهب المالكي مبكرا، منذ أوائل زمن الأدارسة، واستمر هذا المذهب في الانتشار والامتداد حتى عم كل ربوع المغرب الأقصى فيما بعد، غير أن عددا من المؤرخين اعتبروا الدخول الفعلي للمذهب إلى المغرب الأقصى ابتداء في منتصف القرن الرابع الهجري، مع الفقيه أبي ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي المتوفى سنة (357هـ)¹، ومن هؤلاء المؤرخين الفقيه القاضي عياض (ت544هـ)، الذي لم يخص المغرب الأقصى بفرع مستقل في كتابه «ترتيب المدارك» إلا ابتداء من طبقة الفقيه درّاس².

وقد تناول عدد من الدارسين قضية وجود المذهب المالكي في المغرب الأقصى في عهد الأدارسة، منهم:

- الدكتور محمد بنشريف، في مقدمة تحقيقه لنوازل القاضي عياض المسماة: «مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام»، تناول فيه أوائل القضاة والمفتين الذين عاصروا دولة الأدارسة.
- الدكتور عمر الجيدي رحمه الله، في كتابه: «مباحث في المذهب المالكي في المغرب»، حيث تحدث في المبحث الأول الذي سماه: «المذهب المالكي في المغرب» عن دخول المذهب إلى الأندلس وتونس والمغرب³، وتناول الموضوع أيضا في كتابه: «محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي»، ضمن المحاضرة الأولى عند حديثه عن «الآفاق التي انتشر فيها المذهب المالكي»⁴.

1- ترجمة الفقيه درّاس تنظر في:

- «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك» للقاضي عياض (81/6).

- «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» لمحمد مخلوف (153/1).

- «المستفاد في مناقب العُباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد» لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي (180/2).

2- «ترتيب المدارك» (148/5).

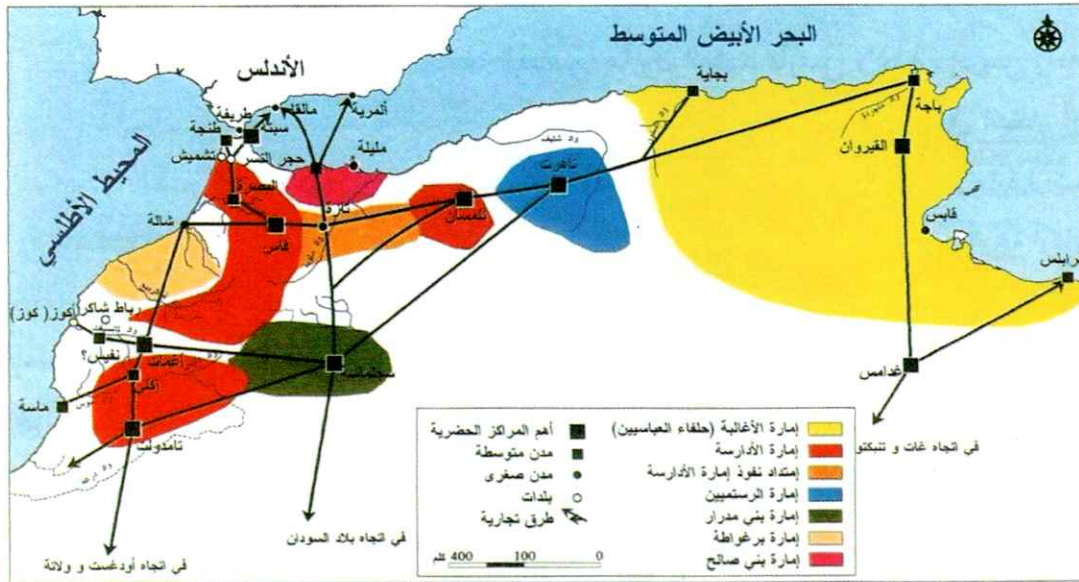
3- (ص15).

4- (ص25).

ذ. سلمان الصمدي

الدكتور محمد بن حسن شرحبيلي، في كتابه: «تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي»¹.
كما تطرق لهذه القضية أيضاً عدد من المؤرخين، في بحثهم حول المذهب الرسمي للدولة الإدريسية².

وسأحاول في هذه الورقات تأصيل وجود المذهب المالكي في المغرب الأقصى على عهد الأدارسة، من خلال إلقاء الضوء على بعض مظاهر انتشار المذهب في عهد الأدارسة، سواء تحت نفوذهم، أو نفوذ الإمارات المجاورة لهم، كإمارة بني صالح شمالاً، وإمارة بني مدرار في سجلماسة في الجنوب الشرقي، وبني سليمان في تلمسان في الشمال الشرقي، كما توضح ذلك الخريطة التالية:



خريطة توضح نفوذ دولة الأدارسة والإمارات المعاصرة لها، من كتاب: تاريخ المغرب تحيين وتركيب، تأليف: جماعة من المتخصصين، بإشراف: الدكتور محمد القبلي، ص: 157.

1 ابتداء من ص 52.

2 ينظر على سبيل المثال:

«المغرب عبر التاريخ» لإبراهيم حركات (1/114).

«مجلد تاريخ المغرب» لعبد الله العروبي (ص 177).

«معالم تاريخ المغرب والأندلس» لحسين مؤنس (ص 123) وغيرها.

1- الغموض الذي يكتنف فترة الأدارسة وأسبابه

يعاني الباحث في الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة المرابطية من تاريخ المغرب، قلة المصادر التاريخية، خلافا للدول الأخرى المعاصرة لهذه الفترة، كالدولة الأموية في الأندلس، والدولة العباسية في المشرق، هذه الحال التي ينعتها محمود إسماعيل بـ «مؤامرة الصمت التي حيكت قديما وحديثا حول تاريخ الأدارسة»¹، ويتساءل في مقدمة كتابه عن تاريخ الأدارسة: «كيف يمكن التأريخ لدولة انعدم أو كاد إطارها المصدري»².

في هذا السياق، يذكر المؤرخون ضياع كتب قديمة ومهمة تؤرخ لهذه الحقبة من تاريخ المغرب، منها على سبيل المثال: كتب محمد بن يوسف الوراق الأندلسي ثم القيرواني المتوفى سنة (362هـ)، في أخبار تيهرت، ووهران، وتيس، وسجلماصة، ونكور، وبصرة المغرب³، ويذكر ابن الأبار (ت658هـ) أن نفس المؤلف صنف للحكم المستنصر في مسالك إفريقيا وممالكها ديوانا ضخما، وفي أخبار ملوكها وحروبهم كتباً جمّة⁴.

ومن هذه المصنفات المفقودة أيضا نجد: كتاب «المقباس في أخبار المغرب والأندلس وتاريخ مدينة فاس»، لأبي مروان عبد الملك بن موسى الوراق، الذي عاصر دولة المرابطين وأوائل دولة الموحدين⁵، وغيرها من المصادر المهمة.

ولعل من أقدم كتب التاريخ التي وصلت متضمنة أخبارا عن هذه الحقبة:

- كتاب «تاريخ افتتاح الأندلس»، لأبي بكر ابن القوطية (ت367هـ).

- كتاب «المقتبس من أنباء الأندلس»، لأبي مروان ابن حيان (ت469هـ).

ومن أقدم ما وصلنا أيضا كتب بعض الجغرافيين، ويسمى العلامة المنوني «الجغرافيات»، ويرصد أهميتها في التأريخ فيقول: «وهذه الجغرافيات تستوعب أقاليم العالم الإسلامي في عصر تأليفها، ولما يصل الحديث بها إلى المغرب الكبير، تذكر السكان والدول، والبلدان، والمسافات بينها، والأوضاع الاقتصادية، والأدبية، والعقائدية، فضلا عن نقط أخرى من صميم التاريخ، وبهذا وذاك، كان لهذه المدونات أهمية بين مصادر تاريخ المغرب»⁶.

1- «الأدارسة حقائق جديدة» (ص10).

2- «الأدارسة حقائق جديدة» (ص10).

3- «المصادر العربية لتاريخ المغرب» لمحمد المنوني (25/1).

4- «التكملة لكتاب الصلة» (294/1).

5- «المصادر العربية لتاريخ المغرب» (24/1).

6- «المصادر العربية لتاريخ المغرب» (18/1).

ومن هذه «الجغرافيات» التي أفدت منها إشارات متعلقة بالمذهب المالكي في عهد الأدارسة:

- كتاب «صورة الأرض»، لأبي القاسم ابن حوقل، المتوفى (ت367هـ على وجه التقريب).
- وكتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (ت380هـ).

- وكتاب «المسالك والممالك»، لأبي عبيد البكري (ت487هـ).

وبالوقوف على بعض المعلومات التاريخية، التي تصور الأوضاع الاجتماعية والسياسية للمغرب، من الفتح الإسلامي وحتى فترة الأدارسة، تظهر معالم أسباب هذا الغموض الذي يلف حقبة الأدارسة، حيث لم ينعم المغرب في هذه الفترة بالهدوء والاستقرار إلا لِمَما، فقد اتسم عصر الولاة بكثرة الثورات وحركات التمرد بسبب جور الولاة واستئثارهم بالسلطة والقرار، وبعد ذلك دخل المغرب عصر الإمارات المستقلة، والذي طبعه الصراع بين هذه الإمارات لإثبات الوجود، وتوسيع النفوذ.

هذه الأوضاع التي سادت في المغرب آنذاك، كانت السبب في «انقسامه على نفسه، وتسلط بعضه على بعض، مما أدى إلى بقائه زهاء ثلاثة قرون طُعمَة لنيران الحروب، وميدانا لتجريب الحظوظ»، والنتيجة: أنه «في كل ذلك، إنما يزداد سوء حالة من ناحية انتشار الجهل، وعدم الاستفادة مما أتى به الفاتحون العرب...»⁽¹⁾.

فلا عجب إذن، في أن ينشأ هذا الفراغ في حركة التأريخ على العهد الإدريسي، لاسيما وكل بلد إنما يؤرخ له أبناؤه العارفون به، والمهتمون به أكثر من سواهم، إلا في بعض الحالات النادرة، ولدواع استثنائية، فما أحوجنا بحق إلى أن يُيَمَّم الباحثون والدارسون وجوههم شطر هذه الحقبة من تاريخ المغرب، عسى أن يظفروا بما لم يُتَح لمن سبقهم!

2- أضواء على المذهب المالكي تحت نفوذ الأدارسة

بعدما استتبَّ الأمر للأدارسة في المغرب الأقصى، بدأت الوفود العربية تقصدهم من كل حذب وصوب، وكان أهم هذه الوفود، وفود القرويين من تونس، وهي إحدى أكبر الحواضر المالكية في ذلك الزمان، ووفود من الأندلسيين.

يقول أبو الحسن ابن أبي زرع (ت726هـ): «وفي سنة تسع وثمانين ومائة، وفدت على إدريس وفود العرب من إفريقية وبلاد الأندلس، في نحو الخمسمائة من القيسية، والأزد،

1- «النبوغ المغربي في الأدب العربي» لعبد الله كتون (ص46) وما بعدها.

ومذبح، وبني يحصب، والصدف، وغيرهم، فسر إدريس بوفادتهم، وأجزل صلاتهم، وقربهم، ورفع منازلهم، وجعلهم بطانته دون البربر، فاعتز بهم لأنه كان فريداً بين البربر ليس معه عربي، فاستوزر عمير بن مصعب الأزدي، وكان من فرسان العرب وسادتها، ولأبيه مصعب مآثر عظيمة بإفريقية والأندلس، ومشاهد في غزو الروم كثيرة، واستقضى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي من قيس عيلان، وكان رجلاً صالحاً ورعاً فقيهاً، سمع مالكا وسفيان الثوري وروى عنهما كثيراً، ثم خرج إلى الأندلس برسم الجهاد، ثم جاز إلى العدو، فوفد منها على إدريس فيمن وفد عليه من العرب، ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الآفاق¹.

ومن الوفود التي جاءت بعد ذلك أندلسيون ممن فروا عقب ثورة «الرَّيْض» الشهيرة، ومعظمهم من الفقهاء المالكية، وقد وصفهم المؤرخ الأندلسي أبو بكر ابن القوطية (ت367هـ) بأنهم قوم من أعلام قرطبة²، ثم قال: «... وافترقوا ولحقوا بساحل بلد البربر، وصاروا أهلها»³.

ويصف أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ (ت1041هـ) في «نفح الطيب» عموم ثائرة الربض بأهل العلم والورع بقرطبة، مثل: يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالكا، وأحد رواة الموطأ عنه، وطالوت الفقيه وغيرهما⁴.

ويلخص المؤرخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ) أحداث واقعة «الرَّيْض»، وهجرة الفقهاء عقبها في كتابه «الاستقصا» فيقول: «كان الحكم بن هشام الأموي صاحب الأندلس، صدرت منه لأول إمارته هنأت أوجبت قيام جماعة من أهل الورع عليه، فيهم: يحيى بن يحيى الليثي، صاحب مالكا، وراوي الموطأ عنه، وطالوت الفقيه، وغيرهما، فخلعوا الحكم وبايعوا بعض قرابته، وكانوا بالربض الغربي من قرطبة، فقاتلهم الحكم وكثروه وكادوا يأتون عليه، ثم أظفره الله بهم، ووضع فيهم السيف ثلاثة أيام، وهدم دورهم ومساجدهم، وفر الباقون منهم، فلحقوا بفاس المغرب الأقصى، وبالإسكندرية

1- «الأنيس المطرب» (ص13).

2- «تاريخ افتتاح الأندلس» لابن القوطية (ص68).

3- «تاريخ افتتاح الأندلس» لابن القوطية (ص68).

4- «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب» للمقرئ (1/399).

ذ. سلمان الصمدي

من أرض مصر، فأما اللاحقون بفاس فأنزلهم إدريس رحمه الله بعدوة الأندلس، فأضيفت إليهم...»¹.

ويذكر الناصري أيضا، أن هؤلاء النازحين كانوا أربعة آلاف أهل بيت². وقد كان لهؤلاء الوفود - دون شك - أثر كبير في نشر المذهب المالكي بفاس وجل ربوع المغرب الأقصى، لأن أغلبهم فقهاء ووجهاء مالكية، و«لفقه رونق ووجاهة» كما يقول المقرئ³، فمنهم كان الوزير والقاضي كما سبق ذكره، ومنهم سوف يكون - بلا شك - بقية الأعيان، من محتسبين، وعدول، ومشاورين، وكتاب، ومدرسين، ومفتين، وخطباء، وغيرهم من أصحاب الخطط التي لها تأثير في التوجهات الدينية والثقافية للمجتمع المغربي.

ومع أن غالبية هؤلاء الوافدين استقروا بالعاصمة فاس، إلا أن عددا منهم تفرقوا في أرجاء المغرب، وسكنوا في مناطق مختلفة كأزقور، وأغمات، وأغيفي، ووليلي...⁴ ثم كانت سنة (245هـ)، شاهدة على حدث كبير، سوف يكون له أثر عظيم في ترسيخ الهوية المالكية في ربوع المغرب الأقصى، ألا وهو بناء جامع القرويين على يد سيدة من مهاجرة القرويين، تدعى: أم البنين فاطمة بنت محمد الفهرية⁵.

ومن الإشارات الهامة، التي يستفاد منها وجود المذهب المالكي في فاس في العهد الإدريسي تتلمذ الفقيه دراس بن إسماعيل (ت357هـ) على شيوخ بلده، يقول القاضي عياض في ترجمته من «ترتيب المدارك»: «من أهل فاس، سمع من شيوخ بلده»، كما سمع «بإفريقية من

¹ - «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» (223/1)، وانظر أيضاً في وقائع حادثة الريض ونزوح قسم من أصحابها نحو المغرب:

- «الحلة السيرة» لابن الأبار (ص44).

- «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب» لابن عذاري (77/2).

² - «الاستقصا» (223/1).

³ - «نفح الطيب» (221/1).

⁴ - «المسالك والممالك» للبكري (845/2).

⁵ - ينظر عن بناء جامع القرويين:

- «الأنيس المطرب» (ص29).

- «جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس» لعبد الهادي التازي.

ذ. سلمان الصمدي

أبي بكر ابن اللباد ، وبالأندلس من شيوخها¹ ، ففي كلامه إشارة إلى أن فاسا حينئذ كان بها فقهاء مالكية ، مما يعني وجود المذهب المالكي بها .

وإذا انتقلنا إلى مدينة البصرة ، بصرة المغرب ، وهي إحدى الحواضر الكبيرة التي أسسها الأدارسة ، ثم خربت فيما بعد ، فإننا نجد القاضي عياضا يورد أسماء بعض الفقهاء المالكية بها أيام الأدارسة وهم :

الفقيه أبو هارون عمران بن عبد الله العمري البصري ، المتوفى بها سنة (313هـ)² .

- الفقيه أحمد بن حذافة البصري ، وهو من أقران الفقيه أبي هارون³ .

- الفقيه بشار بن بركانه ، وهو من أقرانها كذلك⁴ .

وفي سبته ، نجد أيضا ذكرا لعدد من الفقهاء مما يؤكد لنا مالكيته على عهد

الأدارسة ، ومن هؤلاء الفقهاء :

الفقيه عيسى بن علاء بن نذير بن أيمن ، ولي قضاء سبته ، وتوفي بها سنة (336هـ) عن

ست وثمانين سنة⁵ .

الفقيه جبر الله بن القاسم الفارسي ، يقول عنه بلديّه القاضي عياض : «من مشاهير

فقهائها- أي سبته- ومتقدميهم ، سمع منه عيسى بن سعادة الفارسي»⁶ ، ولم يزد القاضي

في ترجمته فوق هذه العبارة شيئا ، لكننا نجد ابن القاضي (ت960هـ) في «جذوته» ينسبه إلى

مدينة فاس ، ويذكر ما يفيد تقدم طبقته كثيرا فيقول : «نزىل عدوة الأندلس من مدينة

فاس... وهو ممن أدخل علم مالك إليها ، ومن مشاهير فقهائها ومتقدميهم ، لقي أصبغ بن الفرّج

وسمع منه» ، ويذكر أيضا أن درّاس بن إسماعيل أدركه ، وعرض عليه مسائل كتاب ابن

المواز... إلى آخر ما أورده⁷ ، مما يدل على أن الفقيه جبر الله عاش معظم القرن الثالث

الهجري ، أي صدر الدولة الإدريسية ، وقد توفي شيخه أصبغ بن الفرّج سنة (225هـ)⁸ .

¹ - «ترتيب المدارك» (81/6).

² - «ترتيب المدارك» (148/5).

³ - «ترتيب المدارك» (149/5).

⁴ - «ترتيب المدارك» (149/5).

⁵ - «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضي (380/1) ، و«ترتيب المدارك» (276/6).

⁶ - «ترتيب المدارك» (85/6).

⁷ - «جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس» (ص174).

⁸ - «ترتيب المدارك» (17/4).

الفقيه عيسى بن سعادة السجلماسي، المتوفى سنة (355هـ)، قال عياض: «من فقهاء بلدنا ومشاهير المغرب، أخذ ببلده عن جبر الله ابن القاسم»¹.

- الفقيه أبو الحسن السلفاني، وقد هاجر إلى مصر قديما².

وفي مدونة ابن القاسم (ت192هـ) نجد ذكرا لمدينة طنجة في موطنين:

الأول: جواب عن مسألة القضاء على صاحب الدار الغائب: «...إلا أن تكون غيبته تطول، فينظر في ذلك السلطان، مثل من يغيب إلى الأندلس أو طنجة...»³.

والثاني: جواب على مسألة تزويج البكر التي يغيب عنها وليها: «قال مالك: إذا غاب غيبة منقطعة، مثل هؤلاء الذين يخرجون في المغازي فيقيمون في البلاد التي خرجوا إليها، مثل الأندلس أو إفريقية أو طنجة، قال: فأرى أن يُرفع أمرها إلى السلطان فينظر لها ويزوجها»⁴.

وهذا يدل على اتصال بين المشرق والمغرب، يستشف منه انتقال المذهب المالكي إلى طنجة وما جاورها من بلاد المغرب الأقصى مبكرا.

وفي أغمات بالسوس الأقصى جنوبا، نجد الرحالة الجغرافي الشهير أبا القاسم محمد ابن علي ابن حوقل (ت بعد 367هـ)، والذي زار هذه المنطقة، يرصد وجود المذهب المالكي بها في كتابه «صورة الأرض»، فيقول: «وأهل السُّوس فرقتان مختلفتان، مالكيون أهل سُنَّة، وموسويُّون شيعة...»⁵، وقد تدافعت هاتان الفرقتان وتقاتلتا إلى أن كانت الغلبة للمالكية فيما بعد.

3- أضواء على المذهب المالكي في الإمارات المعاصرة للأدارسة

إذا ما خرجنا عن نطاق الحكم الإدريسي، ودخلنا الإمارات الصغيرة المجاورة، فإننا نجد أدلة وإشارات كثيرة متعلقة بوجود المذهب المالكي.

ففي إمارة بني صالح شمالا، وقاعدتها النكور، نجد ما يفيد غلبة المذهب المالكي فيها، وتمسك أمرائهم به من أول عهدهم، يقول البكري: «ولم يزل آل صالح على السُنَّة

¹ - ترتيب المدارك (277/6).

² - ترتيب المدارك (276/5)، ذكره في طبقة ابن شعبان المتوفى سنة (355هـ).

³ - المدونة (268/4).

⁴ - المدونة (106/2).

⁵ - صورة الأرض (ص91).

د. سلمان الصمدي

والجماعة، والتمسك بمذهب مالك بن أنس رضي الله عنه، وكان صالح وابنه سعيد يصليان بالناس، ويخطبان ويحفظان القرآن»¹.

ويصف الأمير عبد الرحمن بن سعيد بن صالح فيقول: «وكان عبد الرحمن فقيها بمذهب مالك»².

ويذكر ابن خلدون (ت808هـ) تمسك جريج بن أحمد المبايع بالإمارة في بني صالح سنة (336هـ) بمذهب مالك، سيرا على سنن أسلافه: «وكان على مذهب سلفه في الاقتداء والعمل بمذهب مالك، إلى أن مات آخر سنة ستين وثلاثمائة»³.

وممن احتفظت لنا المصادر بأسمائهم من الفقهاء المالكية ببني صالح، بالإضافة إلى أمرائها المذكورين: الفقيه قاضي مليلة، أبو جعفر أحمد بن الفتح المليلي، المتوفى سنة (332هـ)⁴.

وفي إمارة بني سليمان شرقا، وقاعدتها تلمسان، وهم أبناء عمومة الأدارسة وأصهارهم، بزواج المولى إدريس الثاني من ابنة عمه سليمان، يؤكد البكري مالكية هذه الإمارة منذ القدم، فيقول: «ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك»⁵.

وفي سجلماسة جنوبا، وهي حاضرة إمارة بني مدرار، لا يمكننا القول بغلبة المذهب المالكي فيها أيام الأدارسة، لأن المعطيات التاريخية التي بين أيدينا عن هذه الإمارة، تفيد أن المذهب الرسمي فيها كان هو المذهب الخارجي الصفري، لكن لما بويع الأمير محمد بن الفتح (332هـ)، أعلن انتماءه للسنة ومذهب مالك، ونبذ ما سواه من مذاهب الخوارج، وتسمّى بالشاكر لله، يقول البكري: «وكان محمد بن الفتح سنيا على مذهب المالكية، يحسن السيرة ويظهر العدل، إلا أنه تسمّى بأمر المؤمنين سنة اثنتين وأربعين، وتلقّب بالشاكر لله، وضربت بذلك الدراهم والدنانير»⁶.

1- «المسالك والممالك» (772/2).

2- «المسالك والممالك» (766/2).

3- «تاريخ ابن خلدون» (286/6).

4- «تاريخ علماء الأندلس» (75/1).

5- «المسالك والممالك» (746/2).

6- «المسالك والممالك» (840/2).

غير أنه يمكننا القول بأن سجلماسة قد عرفت المذهب المالكي قبل تحول الشاكر لله إليه، ونبذه مذهب الخوارج، وما اختياره للمذهب المالكي دون سواء من المذاهب إلا دليل على وجود المذهب قديماً بتلك البلاد، ويؤيد هذا الأمر استيطان أعداد من النازحين الأندلسيين عقب حادثة الريض سجلماسة، ومساهماتهم في نسيجها المجتمعي، حتى إن البكري يسوق رواية تغزو تأسيس مدينة سجلماسة لأحد هؤلاء النازحين، وإن عقب عليها بالتضعيف وبترجيح الرواية التي ساقها قبل، والتي تفيد بناء المدينة قبل زمن حادثة الريض، إلا أنها تشير إلى وجود العنصر الأندلسي السني بالمنطقة قديماً.

يقول البكري: «وذكر آخرون أنّ مدرارا كان حدّادا من ربيعة الأندلس، فخرج عند وقعة الريض، فنزل منزلا بقرب سجلماسة، وموضع سجلماسة إذ ذاك براح يجتمع فيه البربر وقتا ما من السنة يتسوّقون... وكان مدرار يحضر سوقهم بما يُعدُّ لها من آلات الحديد، ثم ابتنى بها خيمة وسكنها، وسكن البربر حوله، فكان ذلك أصل عمارتها، ثم تمدنت»¹. وهذا الأمر في نظري، هو ما حدا بالجغرافي أبي عبد الله المقدسي (ت380هـ)، الذي زار سجلماسة قديماً، إلى وصف أهلها في كتابه «أحسن التقاسيم» بقوله: «وهم أهل سنة، وقوم جياذ بها، علماء وعقلاء...»².

كما نجد البكري يذكر أن ابن تجمان - وهم قوم على مقربة من سجلماسة - كانوا أهل سنة وجماعة³.

وممن انتسب إلى سجلماسة من المالكية، قبل زمان الشاكر لله وبعده:

- أبو الحسن علي بن خلف السجلماسي، ذكره القاضي عياض فيمن ألف مسندا للموطأ⁴.

- أبو يحيى حماد بن يحيى السجلماسي، من تلاميذ سحنون⁵.

- وأبو موسى عيسى بن سعادة السجلماسي، المذكور آنفاً في مالكية سبتة.

ويذكر القاضي عياض في ترجمة أبي إسحاق السبائي المتوفى سنة (356هـ): أن رجلاً قصده من سجلماسة، «فلما عرف الشيخ بذلك قال: أنا أقوم إليه، فتلقاه وسلم عليه، ووقف

1- «المسالك والممالك» (837/2).

2- «أحسن التقاسيم» (ص231).

3- «المسالك والممالك» (835/2).

4- «ترتيب المدارك» (81/2).

5- «ترتيب المدارك» (97/4).

د. سلمان الصمدي

عليه، ووقف معه ساعة، ثم دخل كئيباً، فجثا على ركبتيه، وجعل يضرب بيديه إحداهما على الأخرى ويسترجع، فسئل فقال: رجل من سجلماسة جاء إلى زيارتي، وما قدري أن أزار من سجلماسة، والله الذي لا إله إلا هو ما أستحق إلا من يجلسني في الرُّقَّاق»¹.
ويذكر القاضي أيضاً من ضمن مؤلفات أبي محمد ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ): «رسالة إلى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن»²، والظاهر أنها جواب على سؤال ورده منها. كل هذه إشارات تدل على وجود المذهب المالكي بسجلماسة قديماً.

نتائج

نستخلص مما سبق ذكره نتائج أهمها:

- أن المغرب الأقصى عرف المذهب المالكي منذ أوائل العهد الإدريسي، وعليه فإن المزايم التي يدعيها بعض الباحثين من كون المغرب الأقصى لم يعرف المذهب إلا متأخراً في أواسط القرن الرابع الهجري باطلة لا أساس لها³.
- وأن الحواضر الشمالية الخاضعة لنفوذ الأدارسة، والتي أسعفتها المصادر بئثف من أخبارها، كانت مالكية، وأن إمارتا بني صالح وبني سليمان لم تعرفا غير المذهب المالكي، وفي أغمات بالسوس الأقصى وسجلماسة ثبت وجود المذهب المالكي قديماً مع كونه كان مزاحماً من مذاهب أخرى.
- وأن الأدارسة احتضنوا المذهب المالكي وأفسحوا له، باحتضانهم للوافدين من القرويين والأندلسيين، الذين كان لهم دور حاسم في نشره وتوطيده في فاس وربوع المغرب الأقصى.
- وأن صنيع القاضي عياض في «ترتيب المدارك»، بإفراد المغرب بفرع مستقل مع الفقيه دراس بن إسماعيل، القصد منه جعل محطة ينطلق منها التأريخ للدرس الفقهي المالكي في المغرب الأقصى، حسب ما تتيحه المصادر، لا تحديد تاريخ لدخول المذهب إلى المغرب الأقصى، حيث تبين أن كلام عياض نفسه يفيد وجود المذهب المالكي بالمغرب قبل دراس، فضلاً عن كلام غيره من المؤرخين والجغرافيين القدماء.

1- «ترتيب المدارك» (71/6).

2- «ترتيب المدارك» (218/6).

3- منهم على سبيل المثال الدكتور محمود سعيد ممدوح في كتابه «طي القرطاس بتعيين مذهب الإمام إدريس بن إدريس ساكن فاس»، يقول في (ص35): «المغرب الأقصى، بلاد إدريس بن إدريس، في عصره وقبله وبعده لمدة طويلة، كان منقطع الصلة عن الإمام مالك، وكتابه الموطأ، والرواية عنه حديثاً وفقها، ولم يعرف لهم أي وجود في المغرب، ولم ينقل نص واحد يعتمد عليه يمكن أن يفيد غير ذلك».

ديوان العدد

دعوة الحق

وفي "الاتحاد" لنا قوة
 ألا وليمت كل فكر مريض
 يريدون بالكيـد إزعاجنا
 فمغربنا ملك صحرائه
 بها عاش من قبل أجدادنا
 وفي المغربى شموخ الجبال
 سنصمد في وجههم ما حيننا
 ويا من تعيشون تحت الخيام
 ألا فارجعوا لجماكُم .. فلن
 ومن يشتر الذل بالمغربيات
 فيا أيها "السّادس" المجتبى
 لك العهد من شعبنا كله
 سنمضي وراءك نحو المراد
 قدّم سيدي للحمى سالما
 ويحفظ ربي لكم "حسنًا"
 وبقى الرشيد لكم سنداً
 ومزحى بعيدك ... واقبل به

بها سوف نبليغ مآلنا
 يعاكس بالمكر وخدتنا
 ونحن مع العرش لن ندعنا
 وصحراؤنا هي ملك لنا
 وتبقى لأحفادنا بقدرنا
 وعند الشدائد لن يجبنّا
 ونفدي بأرواحنا الموطّنا
 تعانون فيها الأسى والضنى
 تلاقوا لكم مثله مسكنّا
 يكن ربحه في الختام الفنا
 "محمّد" يا تاج مغربنا
 بأننا جنود لأوطاننا
 ونهدي لأجله أرواحنا
 يحوطك باللفظ ربّ الدنى
 ويكبّر في ظلكم حسنا
 يوازيكم لبـلوغ المنى
 جميل التهاني، وطيب الشا

عاهل المجد والمكرمات

الشاعر محمد البلغمي

- فاس -

وفي عيدهِ نستطيب الغنا
وتغمر أوطاننا بالسنا
نشيد الصفاء، ولحن الهنا
يُميل من النشوة الأغصنا
وتسبي بروعتها الأعيننا
نُجدد للعرش بيعتنا
على الحب والود قد ضمنا
وعهد نماء... وعهد بنا
وصنت البلاد، ووحدتنا
فأضحت تجود بوفر الجنى
هناك له، وبنا هنا
ويُلقي به العابد المأمنا
يزود بالعلم أبناءنا
وتحمي من الفقر مغورنا
ويملك الشعب.. ياعزنا
وأعليت في جمعه شأنا
وساند أحرارهم حقنا
على الحب قامت علاقاتنا

بعرش البلاد تروق الدنى
وفي يومه تشرق البشريات
وتشدو البلابل في روضها
ويسري النسيم رخي الهبوب
مشاهدُ تسعد كل القلوب
فأهلا بأجمل عيد به
ونرفع صدق الولاء لمن
أمولاي عهدك عهد انفتاح
بذلت لشعبك أغلى الجهود
وأوليت للأرض كل اهتمام
فأنى التفت.. تجد منجزات
فمن مسجد يحضن المؤمنين
إلى معهد لِرقي البلاد
إلى منشآت تضم الشريد
فيا عاهل المجد والمكرمات
أعدت البلاد إلى "الاتحاد"
ورحب بالعود كل الحضور
ونحن "بإفريقيانا" إخوة

الفهرس

- 7..... الافتتاحية:
- 9..... مقالات العدد:
- الإمامة العظمى في سياقها الأشعري السني المغربي ، د.عبد القادر بيطار11
 - إمارة المؤمنين وتأصيلها الديني في فكر أمير المؤمنين الحسن الثاني طيب الله ثراه
 - د. عبد الحميد العلمي23
 - الإمام الأعظم استمداد من هديه صلى الله عليه وسلم ، ذ. إبراهيم الوافي.....31
 - العرف الدستوري ونظام البيعة بالمغرب ، ذة. صليحة بوعكاكة.....39
 - تجديد بيعة أمير المؤمنين ضماناً لإقامة شعائر الدين ، ذ. إدريس يعكوبي.....51
 - عيد العرش المجيد: السياق والمقاصد ، د. مولاي هاشم طاهري.....65
 - تأسيس الاحتفال بعيد العرش بمدينة فاس على عهد الحماية ، ذ. جواد الفرخ.....77
 - "جهود أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس - أعزه الله- في التعاون المغربي الإفريقي" ، ذ. حمادي شرف الدين93
- مقالات داعمة:
- ورقة عن إصلاح التعليم الديني بالمدرسة المغربية ذ.مصطفى بنحمر.....107
 - أضواء على المذهب المالكي بالمغرب الأقصى في عهد الأدارسة
 - ذ. سلمان الصمدي131
- ديوان العدد:
- قصيدة: عاهلُ المجد والمَكْرُمَاتِ، الشاعر محمد البلغمي.....145

شروط النشر بالمجلة

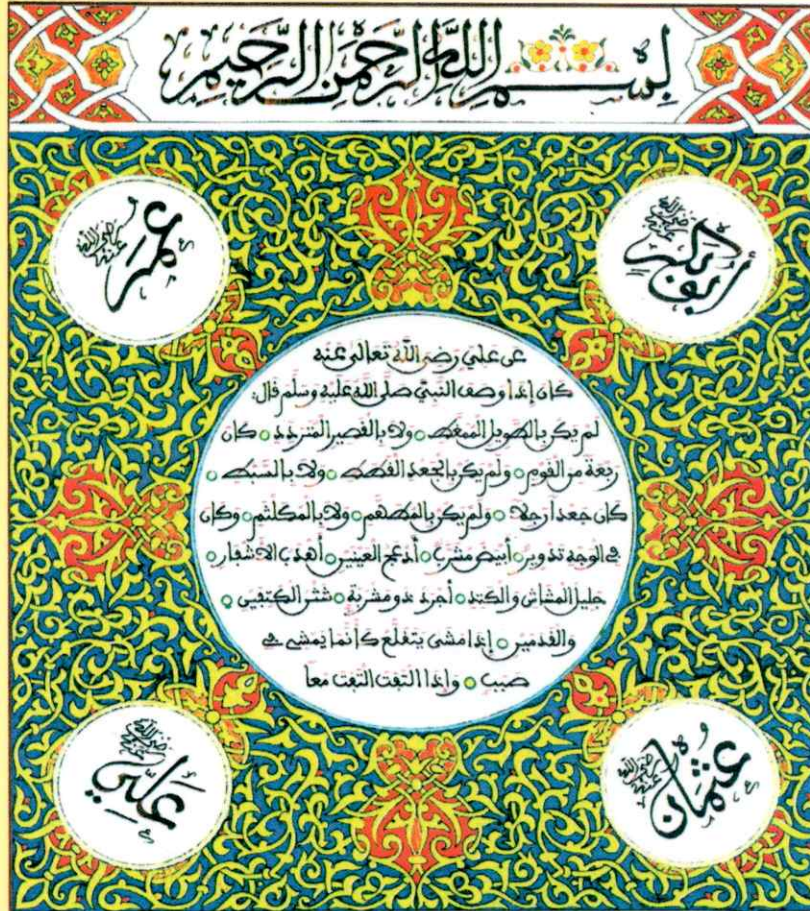
تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تتسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:

- أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلاً من بحث جامعي أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.
- أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم A4.
- في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.
- في حالة وجود وثائق وصور يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.
- تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.
- ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.
- البريد الإلكتروني هو : alami hamid49@gmail.com
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.
- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.

محاور الأعداد المقبلة

تدعو إدارة مجلة دعوة الحق السادة الباحثين إلى الكتابة في أحد المحاور الآتية:

1. المشترك الإنساني في الإسلام
2. جهود المغرب في تكوين القيميين الدينيين



دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر
 تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
 بالملكة المغربية



مطبعة وراقص الكرام

